

3^{me} Année, No. 112

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يخفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-26-8-1935

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها للشئول

أحمد حسن الزيات

لإدارة

بشارع البدوي رقم ٣٢

مايدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ١١٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ - ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

٢ - سعد باشا زغلول

بمناسبة ذكره الثامنة



كانت رسالة
سعد كما رأيت
(الدفاع عن الحق)
في زمن خذل الحق
فانتهى فيه الحكم
إلى الأثرة، وشعب
جهل الحق فجرى به
الأمر طي الباطل.
وكانت علة هذا
الحامي للذرة لذلك
الدفاع البلاغة
والمنطق والقانون:

فالبلاغة للجمهور، والمنطق للخصوم، والقانون للحكومة؛ ولست
أرى بذلك إلى تقسيم كلام الزعيم إلى التأثير المحض، والاقناع
المطلق، والتطبيق المجرد، فإن خطبته في كل موضع وفي أي

فهرس العدد

صفحة	
١٣٦١	سعد باشا زغلول ... : أحمد حسن الزيات ...
١٣٦٣	القومية العربية ... : الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
١٣٦٥	مصر وقت الفتح القاطم : الأستاذ محمد عبد الله مهران ...
١٣٦٨	فرز رودراسة الحرافة ... : الدكتور إبراهيم بيومي مذكور
١٣٧٠	البحر الحسى محدث ولنوى : الأستاذ عبد القادر للفرني
١٣٧٣	استعطاف (قصيدة) : رفيق فاخوري ...
١٣٧٣	طسوح ... : الأستاذ محمود فني ...
١٣٧٤	وراة البغرية ... : لكتاب فرنسي ...
١٣٧٧	وليم ورفزورت ... : جريس القسوس ...
١٣٧٩	عبد الله بن الزبير ... : محمد حسي عبد الرحمن ...
١٣٨٢	نحو الفجر (قصيدة) ... : الأستاذ عبد الرحمن شكري
١٣٨٣	الحن الذي لم يمت ... : الأستاذ خليل حناوي ...
١٣٨٨	أبولهاتمة ... : الأستاذ عبد التعال الميميدى
١٣٩٠	الثنيات ... : الأستاذ محمد شفيق ...
١٣٩٣	حروب طروادة (قصة) : الأستاذ ديفي خشة ...
١٣٩٦	كتاب جديد عن ستالين . وفاة شاعر انكليزي كبير ...
١٣٩٧	وفاة السيد محمد رشيد رضا . ذكرى أئمرسن مجود
	الطغولة . قصور يونانية ...
١٣٩٨	نظريات الجنس والدم في ألمانيا . الرقص العاري ليس فنا ...
١٣٩٩	كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك : الأستاذ محمد بك كرد طي

المائل بروحه ؛ ذلك لأنه يخاطب كما يكتب ويكتب كما يخاطب ،
متوخياً في الأمرين براعة التفكير ، وبلاغة الأداء ، وجمال
الأخيلة ، وصحة الأقيسة ، وقوة الأدلة

كان سعد برد الله نراه وخلد ذكره يحب الكلام كما يحب
العمل ، وينشط بالجلاد كما ينشط بالجلد ، ويضطرب لفتنة الذهن كما
يضطرب لقهر الخصومة ، ويقدم المنطق حتى يأخذ به من نفسه
لعدوه ، ويقوى بالكفاح حتى يركب المرض والوهن إذا ما استجم
دخلت ذات يوم بيت الأمة في وفد من قومي نجدد الثقة
بالرئيس حين انصدع من حوله الوفد ، وانتمت به الحكومة ، وتخشع
عليه الانجليز ، ودس له للرأىون القدر في اللق ، ولم يبق معه إلا
اعتداده بنفسه ، واعتقاده بحقه ، وثقة الشعب الأعزل به ؛ وكان
في ذلك اليوم عيلاً لا يخرج إلى أحد ولا يدخل عليه أحد ،
ولكن الوفد السافر المشوق يأبى في إلحاح وإصرار إلا أن يرى
رئيسه وإن لم ينزل ، ويسمعه رأيته وإن لم يتكلم ؛ فنزل الزعيم
التبيل مدثراً بلغائف المرض يتحامل على نفسه ويتهاك على مقعده ؛
وكان فناء الدار وشارع الدار وحجرات الدار قد انفجرت انفجار
عرفات بالسقاء والتفدية حين لاح وجهه الشاحب من العلة

قدّم وفدنا إلى الرئيس عرائض الثقة في غلاف حريري جميل ،
ثم تعاقبت الخطب على الأسماع ما بين سمين وهزيل ، والخطيب
للعجز جالس إلى مكتبه يصغي إلى كل خطيب ويصفق لكل
خطبة ، حتى انتهى القوم ووقف هو يقول كلمة الشكر ، فبدأها
بصوت خافت متهافت ، ثم مالبت أن شبا وجهه ، واستقام
عوده ، وارتفع صوته ، وتنوع لهجته بالنبرات المؤثرة ، وتحركت
يده بالأشارات المبينة ، ثم تدفق تدفق السيل الماحر ساعة كاملة
هتك فيها أستار الغلول والخديعة عن سياسة الحكومة والخصوم ،
فأسمع الناس كالיום خطيباً ينطق عن الرحي ، وأسلوباً يتسامى
للإعجاز ، وصوتاً يمتزج رنينه الفضي بأجزاء النفس ، وخطبة
لا يفكر بمثلها البيانون نموذجاً كاملاً للفن !

تلك صورة جانبية لناحية من نواحي فن الزعيم ، جلوانها
على قدر هذه الصفحة ؛ ولطنا نمود يوماً إلى هذا الاجمال
نفصله ، وإلى هذا التركيب فتحله

محمد حسن الزيات

موضوع لا تخلو من هذه العناصر الثلاثة ، وإنما يظهر بعضها على
بعض حين يقتضى للقام ذلك الظهور ؛ فهو يوجه التأثير بالفكرة
إلى القهن إذا هاجم الإنكار والجهل ، وبالعاطفة إلى النفس إذا
عالج الخود والقلة ، وبالتنصوص إلى القاصرة إذا عرض
القوة والسلطة . ولم ير التاريخ المصري بل الشرق قبل سعد
خطيباً يليل اللسان ، ندى الصوت ، طلق البليهة ، دامع الحجة ،
حافل الخاطر ، رائع البيان ، أنيق اللمعة ، حسن السم ، يزوج
بين للنطق والشعر ، ويماقب بين الاقتناع والامتناع ، ويرواح
بين الجد والهزل ، ويتصرف في فنون القول تصرف الشاعر بركة
الأسلوب ، والفيلسوف بدقة الفكر ، والموسيقى بجمال الإيقاع ؛
وكل ذلك في حالة من الشخصية المهيمنة الجذابة ، تساعد بلاغة اللسان
والعين واليد بشعاع إلهي باهر ، ينفذ إلى النفوس المتكبرة فتستضع ،
وإلى الأذهان المكبرة فتستضع ، وإلى القلوب اللينة فتتباع

كان سعد رجل جلاد وجدل ؛ تهرس منذ الحداثة بشدائد
الحياة ومكاره العمل ، وراض نفسه منذ الرئاسة على أدب
اللسان والقلم ، وتنفس به العمر في ميادين الجهاد في الحق ،
فتكملت عبريته الموهوبة بالمعرفة ، وتقفت بالتجربة ، وتغوت
بالمرأى ، حتى كانت منه ذلك الخطيب الرئيل الذي يهضب
بالكلام أربع ساعات متواليات لا يتكأ ، ولا يتلجج ، ولا يتكدر
بالغو ، ولا يستعين بالتكرار ، ولا يطرد نشاط السامع ؛ وكأنما
كانت الخطابة لطول مازاولها تصدر عنه كما يصدر الفعل عن
الطبع الملازم والعادة المستحكة ؛ فالفكر عميق من غير إعانت ،
والأسلوب رشيق من غير تكلف ، واللفظ منخير من غير قصد ،
والمعاني متساوقة تختلف باختلاف العقول والميول والحال ، فتقع من
قلوب سامعيها العشرين ألفاً موقع الأنداء من جفاف الأرض ؛
هذا بالصورة الآخذة ، وذلك بالفكرة النافذة ، وذلك بالحجة
الوثيقة ، وأولئك جميعاً بالبيان الملهم ، والأداء المعجب !

أكثر ما في خطب الخطباء حنجرة وإلقاء وحركة ؛ فإذا
قرأت بعد ذلك ما سمعت تبين في الكلام الزائف والرأى
المجازف والأسلوب للشوش ؛ أما سعد فتسمعه وتقرأه فلا تجد
بين الحاليين إلا الفرق بين الخطيب المائل بشخصه ، والكاتب

القومية العربية

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

كثيراً ما يسألني الشبان القوين لم يشهدوا الثورة المصرية — لأنهم كانوا أطفالاً — « هل كانت حقيقة رائدة ؟ »
 فأقول : « لقد باغت غاية الروعة — في حدودها . ولم يكن في الوسع أن تكون فوق ما كانت ؛ ولكنها فشلت — مع الأسف — لأنها أخطأت قوميتها بمثل سور الصين »

ذلك أني أؤمن بما أسميه « القومية العربية » وأعتقد أن من خطئ السياسة وضلال الرأي أن تنفرد كل واحدة من الأمم العربية باسمها غير عابئة بشقيقتها ، أو ناظرة إليها ؛ ويحسبني ويستفزني أن أرى أحداً ينظر إلى مصر كأنها من أوروبا وليست من الشرق . وعندى أن الجنسية الشرقية هي أساس حياتنا وتاريخنا ، وأن هذه النظرة تفسد مزاياها الشرقية — إذا لم تفقدنا إياها — ولا تكسبنا مزية من مزايا الغرب ؛ والعلم ينقل ، وقد نقل من الشرق إلى الغرب ، ومن اليسير أن ينقل من الغرب إلى الشرق من غير أن يحاول الشرق أن يغير جلده أو يغير خصائصه

وقد اعترض على شاب — ذات مرة — ونحن في حديث كهذا ، فقال : « وما الرأي في القومية ؟ أليست حقيقة تاريخية تفرق بين هذه الشعوب والأمم التي تريد أن تجمعها وتربطها برباط واحد ؟ »

قلت له : « إن هذه القوميات المتينة الضيقة الحدود ، حديثة من الوجهة التاريخية ، وهي — بمحدثها الحاضرة — بنت العصر الحديث ، وإذا شئت ، قتل أنها وليدة الحرب المظلمة ، وإن كان صحيحاً أنها سبقت الحرب بنصف قرن تقريباً ، بل إن فكرة الامبراطورية البريطانية نفسها ليست إلا بنت القرن العشرين . ولعل أكبر مستول من بث هذه الفكرة هو الشاعر كبلنج . ما علينا من هذا ، ولنرجع إلى حديث الشرق : لقد كلفت هناك وحدة وثقافة اسلاميتان دان لها الشرق ،

أو ما يعنيها منه ، وظلت هذه الوحدة قائمة على الرغم من انحطاط الثقافة ، ولم يندم أن تظل قائمة أن تورات شبت ، وحروباً استمرت ، فإن هذه أشبه بالفن الفاسخية والحروب الأهلية ؛ وقد كان العلماء والأدباء والفقهاء يرحلون من بلد إلى بلد ، ولا يحسون أنهم تركوا أوطانهم وتربوا ، ولا يشعرون أنهم اجتازوا حدوداً ، ونخطوا نحوماً ، تفصل بين أقطار ، وتزل أمة عن أمة . ولا يزال الحال كذلك ؛ ولو جئتم هذا الشرق لما شعرتم أنكم في غير مصر — إلا من حيث التقدم المادي — وكانت اللغة العربية هي اللسان الذي لا يحتاجون إلى اتخاذ غيره في حيناً يكونون من هذا الشرق العظيم الذي تقسمونه اليوم أمماً وشعوباً وتقولون هذا مصرى وذلك فلسطيني أو شامي أو حجازي . وعلى أن القومية هي اللغة لا سواها . ولتكن طبيعة البلاد ما يشاء الله أن تكون ، ولتكن الأصول البعيدة الثقافة في القدم ماشاءت ، فما دام أن أقواماً لهم لغة واحدة فهم شعب واحد . ذلك أن الانسان لا يستطيع أن يفكر — إلى الآن على الأقل — إلا بالألفاظ . هي وحدها أداة التفكير ، فلا سبيل إليه بدونها ؛ ومن المستحيل — الآن — أن تمثل معنى مجرداً عن ألفاظ تمثله . ولكل لغة أساليب وطرائقها ، فأساليب التفكير وطريقة التصور وخاصة للأساليب التي يتألف على مقتضاها الكلام في اللغات المختلفة ؛ ومن هنا يتفق ويتشابه أبناء كل لغة ، ويختلفون عن أبناء كل لغة أخرى ؛ وهذا فرق ما بين الانكليزي والفرنسي ، وما بين الانكليزي والهندي ؛ وهذه فيما أظن ، حقيقة علمية ، ومتى كان الأمر كذلك فكيف نكون إلا عرباً كالمراقيين ، والسوريين ، والفلسطينيين ، والحجازيين ، واليمنيين ، مع اختلاف يسير تحدته طبائع هذه البلاد ؟ »

فناد الشاب يسألني : « وأصلنا المصري ؟ وتاريخ الفراعنة ومدنيتهم ؟ »

قلت له : « أكرم بهنا من أسأل ! وإنها لمدينة باهرة تلك التي كانت للفراعنة ؛ وإن العالم كله لمدين بأكثر مما يعرف لهذه الحضارة القديمة ، ولكنها بايت واندثرت ، ولم يبق منها إلا الأثر المدفون في التراب ، والقي لا يمكن أن يؤثر في حياتنا

الحاضرة إلا من طريق واحد - هو إسماعيل العزة ، وحسنا على استحسان هذا التراث الجليل ، كما يكون الأب كريما فينجعل الابن أن يكون كزائلا وأن يفعل ما يتلقى كرم آياته وطيب أرومتهم ؛ ولكن للدينه العربية - أو قل الاسلاميه إذا شئت - لم تكن ، ولم تبد ، ولم تندثر ، ولم تفقد إلا القوة وظاهر السلطان ، وهذه تكتسب وتستفاد ؛ ولكنها فيها عدا ذلك ، بقيت حية ، وأبقى ما بقى منها لفتها بكنوزها المختلفه ، فهي - أى الدينه العربية - عامل مؤثر بوجوده - لا بذكره كراه العالم الفرعونى . ومن الممكن هدم هذه الحواجز المفتلة التى يقيمها الغرب ويرفع منها سدوداً بيننا وبين اخواننا »

وكثير من أحدثهم هذا الحديث يقتنعون ، ولكنهم يرون أنفسهم شبانا ، ويستولون أن يوكل إلى أسنانهم الفضة توثيق ما أوهمته تفريط الشيوخ أو ضيق إدراكهم ، ولكنى أنا أو من بقدرة الشباب على المجزات ، لأن خياله أنشط ، وجرائه أعظم وعزيمته جديدة لم تنل منها الخطوب والخيبيات ، وآماله فسيحة . وإذا كان الشاب لا يقدم ، فن ذاعما بفعل ؟؟

ولو أن هذه القومية العربية لم تكن إلا وهما لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ ، لوجب أن نخلقها خلقاً ، فما للأهم الصغيرة أمل فى حياة مأمونة ، وما خير مليون من الناس مثلاً ؟ ماذا يسمهم فى دنيا تموج دولها بالخلق ، وكيف يدخل فى طوقهم أن يحسموا حقيقتهم ويدودوا عن حوضهم ؟ إن أية دولة تتاح لها الفرصة تستطيع أن تنب عليهم وتأكدهم أكلاً بلعهم وعظامهم . ولكن مليون فلسطين إذا أضيف إليهم ما يونا الشام وملايين مصر والعراق مثلاً يصبحون شيئاً له بأس يتقى . وهذه البلاد ما انفكت زراعية على الأكثر ، وجل اعتمادها على حاصلات الأرض ، والصناعة فيها ساذجة محدودة ، وضيقه النطاق ، والزراعة لا تغنى الأمم كاتفيتها الصناعة ، والمال عصب الحياة وسر القوة ، وأخلق بهذه الأقطار العربية أن تظل صناعاتها ضئيلة ما بقيت هى مقسمة موزعة ، لأنه لا يوافق الدول الغربية التى لها فيها سلطان أو نفوذ أن تدع صناعاتها تنشط وتنهض ، ولا سبيل إلى نشاطها إلا إذا فتحت أسواق مصر ، لجاراتها الشرقية ، وأسواق الجارات لمصر ، ومعقول أن تشتري منا دول أوروبا

ابراهيم عبد القادر المازنى

ظهر حديثاً :

فى أصول الأدب

صفحات من الأدب الحى والآراء الجديدة

بقلم

أحمد حسن الزيات

يطالب من إدارة « الرسالة » ومن جميع للكتاب

ونعنة ١٢ قرشاً علماً أجرة البريد

مصر وقت الفتح الفاطمي

والعوامل التي مهّدت لهذا الفتح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تمة

— ٣ —

كانت الدولة الفاطمية تضطرم بهذا الروح الوثاب ، وهذه الخلال البدوية النقية حينما اعترم المزلدين الله فتح مصر ، وكانت هذه الروح والخلال هي دطامة الدولة الجديدة ؛ نشأت في مهدها ، كما تنشأ معظم الدول النافرة التي تجدد في قفار المغرب خير ميدان اطالها ونشاطها . وكانت هذه الأسباطية (١) الصارمة تطبع تصرفات الفزاة منذ البداية ؛ وبينما كان أبو عبد الله الشيعي داعية الفاطميين وطلبة دولتهم يزحف بمصعبته من البربر على بني الأغلب لينزع ملكهم ، كان زيادة الله بن الأغلب مكباً على كهوه ومسراته (٢) ، ولم يك ثمة شك في مصير ملك يفشاه مثل هذا الانحلال في الروح وفي الخلال ؛ ولما تم الظفر لأبي عبد الله ودخل رقادة عاصمة الأغلبية ، واحتوى على تراث بني الأغلب ، عمرخت عليه جوارى ابن الأغلب وفهن عدة فالتقات الحسن ، فلم ينظر إلى واحدة منهن ، وأمر لمن بما يصلح شأنهن (٣) وأقام على ما كان عليه من تقشف بالغ وخشونة في اللأكل والملبس ، ولم تزد اقامته في القصر الأنيق على إقامة القفر الساذج (٤)

ولما اعترم المزل أن يحقق أمنية أسرته في افتتاح مصر ، استمد لذلك استمداداً عظيماً ، وحشد كل ما استطاع من جنود وذخيرة ومال ، وعهد بتلك الحملة الراجعة إلى أعظم قواده جوهر الصقلي ؛ ومع أن المزل كان قوى الأمل في التغلب على مصر ،

(١) نسبة إلى أسباطية من حواضر اليونان القديمة ، وقد اشتهرت بنوع من القرية الحفنة الصارمة كانت تعرضه على أبنائها منذ الحداثة حتى يشبوا جنوداً أقوياء يتألبون كل ضروب المشاق

(٢) انماط الحفاه ص ٣٦

(٣) د د د ص ٣٧

(٤) د د د ص ٣٨

ومع أنه كان يعرف من طلائمه وعيونه مبلغ ما انتهت إليه من التفكك والضمف عقب موت كافور ، فإنه لم يدخر علة في الرجال أو المال ، واليك رواية توضح لنا ضخامة هذه الأهبة : استدعى المزي بوماً أبا جعفر حسين بن مهذب متولى بيت المال ، وهو في وسط القصر ، وقد جلس على صندوق وبين يديه ألوف صناديق مبددة ، فقال له : هذه صناديق مال ، وقد شذعتني ترتيبها ، قال الحسين ، فأخذت أجمعها حتى رتبت ، وبين يديه جماعة من خدام بيت المال والفراسخين ، فلما رتبت أمر برفعها في الخزائن على ترتيبها ، وأن يلقى عليها ويختم بخاتمها ، وقال : قد خرجت عن خاتمنا وصارت اليك ، فكانت جلتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار ، وكان ذلك في سنة ٣٥٧ هـ ؛ فأنفقت جميعها على الحملة التي سيرها إلى مصر (١) ؛ ويقال إن الحملة الفاطمية على مصر بلغت نيفاً ومائة ألف فارس ، غير الجند المشاة (٢) ، وهي قوة زاخرة تقتضي لكي تقطع هذا القفر الشاسع بين إفريقية ومصر بمددها وعددها جهوداً جبارة ؛ ولقد أدرك منظر تلك القوى الجاررة وأهبتها الهائلة وقت خروجها من القيروان إلى مصر في يوم من أيام ربيع الأول سنة ٣٥٨ هـ خيال الشاعر الماصر ابن هانيء ، فأنشد في وصفها :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشر أودع
غداة كأن الأفق سد بمنسله

فماذ غروب الشمس من حيث تطلع فلم أدر إذ ودعت كيف أودع ولم أدر إذ شيعت كيف أشيع
إلا أن هذا حشد من لم يذق له غرها والكرى جفن ولا بات بهجع
إذا حل في أرض بناها مدائننا وإن شاع عن أرض غدت وهي بلقع
تحمل بيوت المال حيث يحله وجهم المطايا والزواق المرفع
وكبرت الفرسان لله إذ بدا وظل السلاح للفتى يتمقع
وعب عباب الموكب الفخم حوله ورق كما رق الصباح اللمع
فإن يك في مصر ظلاء لمورد فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
ولم تمض أسابيع قلائل حتى سرت الأنباء في مصر بتقدم

(١) المخطوط ج ٢ ص ١٦٤

(٢) المخطوط ج ٢ ص ٢٠٥ — ابن خلكان ج ١ ص ١٤٨

والاحتواء على نعمها وأموالها ، حسباً فعله في غيرها من بلدان الشرق » وان أمير المؤمنين بادر بتسيير الجيوش الظفيرة لمجاهدته وحماية المسلمين ببلدان الشرق مما شملهم من القتل واكتفهم من المصائب والرزايا ، ثم يشير جوهر إلى ما تطرق إلى شؤون الحكم من فساد وإلى ما يعانيه الشعب من مظالم ومتاعب ، وإلى ما يزعجه أمير المؤمنين من إقامة العدل وتأييد الشريعة وإصلاح المرافق والشؤون ، ويختتم ببيان بعض الأحكام الشرعية الفاطمية وتوكيد الطاعة لأمر المؤمنين^(١)

وفي هذا الأمان الذي أصدره جوهر لأهل مصر إشارة ظاهرة إلى خطر القرامطة الذين كانوا قد اجتاحت الشام يومئذ ، وأخذوا يهددون مصر ؛ وقد كان الخطر حقيقياً لا ريب فيه ، ولو لم يبادر الفاطميون إلى احتلال مصر ، لسقطت قبل بعيد فريسة هينة في يد أولئك الغزاة السفاكين ؛ بل لم يحض على وجود الفاطميين بمصر زهاء عامين حتى اضطروا إلى لقاء القرامطة في أرض مصر ذاتها ولم يردوهم عنها إلا بعد جهد جهيد

على أن جوهر اضطر مع ذلك إلى خوض بعض المارك قبل أن يتبع مصر . ذلك أن فلول الأخشيدي والكافورية ومن والام من الجند لم يقبلوا الأمان وآثروا أن يقوموا بمحاولة أخيرة للدفاع عن سلطانهم القاهب ؛ فاختراروا لهم أميراً ، واحتشدوا لقتال جوهر بالجيزة ؛ ولما وصل الجيش الفاطمي إلى الجيزة ألقى القوى الخشيمة تنهياً لرده عن عبور النيل ، فدفع جوهر بعض قواته فاجتازت النيل خوفاً ، ونشب القتال بين الفريقين ، فانهمز الأخشيدي بعد أن قتل منهم عدد كبير ، ولاذوا بالفرار وتم الفتح الفاطمي لمصر (منتصف شعبان سنة ٣٥٨)

واستجاب جوهر إلى رغبة المصريين ككرة أخرى ، فجدد لهم الأمان ؛ وذهب الوزير ابن الفرات ، والشريف أبو جعفر إلى لقائه على رأس العلماء والكبراء ؛ وسار جوهر في ركبه الظفر إلى عاصمة مصر في عصر يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ (٧ يولييه سنة ٩٦٠ م) « وعليه ثوب ديباج مثقل ، وتحتة فرس أصفر^(٢) » ؛ وشق مدينة مصر (الفسطاط) ونزل في المكان

المساكر الفاطمية ؛ ولم يكن مشروع الفاطميين في فتح مصر مجهولاً ؛ وكان للمزبوع دتاة يبشون دعوته خفية ، وبشرون بالفتح الفاطمي^(١) . ولم يك ثمة ما تخشاه الأمة للمصرية من هذا الفتح ، خصوصاً بعد القى شهدته من عصف الجند المباسين ، وطنيان الولاة للمتمرعين ، وما انتهت إليه شؤونها في أواخر عهد القولة الأخشيدي من الاضطراب والفوضى ، وما توالى عليها من محن الفلاء والوباء ؛ ولقد كان من سخرية القدر أن يتولى حكم مصر أسود خصي هو كافور ؛ وكان لهذا الحادث القذ في تاريخ مصر الاسلامية ، بلا ريب ، وقع عميق في جرح الشعور القوي ؛ وكانت القولة الفاطمية تجذب إليها الأنظار بقوتها وغناها ؛ وكان سواد الشعب المفكر يؤثر الانصواء تحت لواء دولة قوية فنية ، تستظل بلواء الامامة الاسلامية كالقولة الفاطمية ، على الاستمرار في معاناة هذه الفوضى السياسية والاجتماعية ؛ وهكذا ألقى الفاطميون حين مقدمهم إلى مصر ، جواً مهاداً يبشر بتحقيق الفتح للنشود على خير الوجوه

ولما ذاعت الأنباء بوصول المساكر الفاطمية إلى الأراضي المصرية ، اشتد الاضطراب في مصر ، وكثر الخلاف في الرأي ، فرأى جماعة من الرعماء والجند من أنصار بني الأخشيدي وكافور أن يحاولوا رد الغزاة بقوة السيف ، وأخذوا يتأهبون للقتال ؛ ولكن معظم الرعماء للمصريين آثروا مهادنة الفاتحين والتفاهم معهم ، وقر رأيهم على أن يتقدموا إلى جوهر بطلب الأمان والصلح ، وانفقوا مع الوزير جعفر بن الفرات على أن يتولى تلك المهمة ؛ وسألوا أبا جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني أن يكون سفيرهم فأجابهم إلى ذلك ؛ وسار على رأس جماعة من وجوه مصر إلى لقاء جوهر ، فلقبه على مقربة من الاسكندرية ، في قرية تعرف بأروجه ؛ (أواخر رجب سنة ٣٥٨) فاغتنب جوهر بمقدمهم وأجابهم إلى ما طلبوا ؛ وكتب لهم أماناً يعتبر وثيقة هامة في الكشف عن غايات السياسة الفاطمية وأصولها المذهبية ؛ وفيه بنوه بمزايا الحماية الفاطمية على مصر « بمسد أن تحفظها الأيدي واستطال عليها المستذل ؛ المعنة نفسه بالاقتدار عليها ، وأسر من فيها ،

(١) راجع هذه الوثيقة بنصها في اتباط الحفاء — من ٦٧ — ٧٠

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ١٤٩

(١) اتباط الحفاء من ٦٦

وبذا استقرت الخلافة الفاطمية في مصر ، وبدأت زعامتها الدينية في المشرق ؛ وكانت الامامة الدينية أخص الصفات التي تبدو بها الخلافة الجديدة ، وكان المزيّن ابن الله يحصر جد الحرص على سفة الامامة ورسومها ؛ بيد أن الفاطميين قدموا الى مصر يحيط بشيئهم وامامتهم نفس الريب الذي أحاط بهما منذ قيام دولتهم في المغرب ؛ وقد أثبتت هذه المسألة عند مقدم المزيّن إذ اجتمع به جماعة من الأشراف العلويين الذين ينتسبون الى علي وفاطمة ، فأله الشريف عبد الله بن طباطبا عن نسبه ، فأجاب المزيّن أنه سيعقد مجلساً ويتلو عليهم نسبه . ثم عقد المزيّن مجلسه بالقصر ودعا اليه الكبراء ، وسل نصف سيفه من غمده وقال لهم هذا نسي ؛ وثر عليهم ذهباً كثيراً ، وقال هذا حسي ؛ فقالوا جميعاً سمعنا وأطعنا^(١) ، وفي ذلك ما يدل على اعتداد الدولة الجديدة بقوتها وجاها ، قبل اعتمادها على امامتها وهيبة انتسابها لآل البيت ، وان كانت قد اتخذت الامامة شعارها لدى الكافة منذ الساعة الأولى ، وأقامت ملكها السياسي على أسس دعوتها الدينية

وكان عهد المزيّن عصر عهد توطيد ودفاع عن الملك الفتى . وكان خطر القرامطة لا يزال قائماً في الأفق ينذر دولة الفاطميين الجديدة بالهوان والفناء . ولم يحض بسيد حتى غزا القرامطة دمشق وانتزعوها من يد حاكمها الفاطمي . ثم زحفوا على مصر بقيادة الحسن الأعصم ككرة أخرى ، فلقبهم جيوش المزيّن على مقربة من بلبيس في أواخر سنة ٣٦٣ هـ وأوقعت بهم هزيمة فادحة . بيد أنها لم تكن خاتمة النضال ؛ فقد لبث المزيّن حتى وفاته في مراك مستمرة في الشام مع القرامطة والروم ؛ بيد أنه أتيح له قبيل وفاته أن يشهد ظفراً ؛ ولم يفاد هذه الحياة ، (في ربيع الثاني سنة ٣٦٥) حتى كانت الخلافة الفاطمية تبسط سلطانها وامامتها على المغرب ومصر والشام والحرمين

محمد عبد الله هنام

(تم البحث)

(النقل ممنوع)

الذي غدا قيا بمد مدينة القاهرة ، واختط العاصمة الجديدة في نفس الليلة إيماناً بقيام الدولة الجديدة ، وبعث البشري إلى مولاه المزيّن بالفتح العظيم ، فوصلته في منتصف رمضان ، وأنشد ابن هاني^(٢) بهذه للنسبة قصيدة مطلعها :

يقول بنو العباس قد فتحت مصر

فقل لبني العباس قد قضى الأمر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر تصاحبه البشري ويقدمه النصر

— ٢ —

وقامت القاهرة عاصمة الدولة الجديدة بسرعة ، وأعدت بقصورها ومسجدها الجامع (الجامع الأزهر) لتكون منزلاً لملكها بني عبيد وعاصمة للخلافة الفاطمية ، وبدأ الحكم الفاطمي بمصر على يد مبعوث الخليفة الفاطمي وقائده جوهر ؛ وكان خطر القرامطة الذي أشار إليه جوهر في رسالته لأهل مصر يشتد ويتفاقم ؛ ويهدد مصر بالويل والدمار ، وملك الفاطميين بالفناء عاجل . وقد زحف القرامطة على مصر بالفعل في أوائل سنة ٣٦١ هـ بقيادة زعيمهم الحسن الأعصم ، ونشبت بينهم وبين الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر ، مراك هائلة في ظاهر الخندق (على مقربة من القاهرة) انتهت بهزيمتهم وارتدادهم نحو الشام . ولما رأى المزيّن ملكه الجديد قد توطد بمصر ، سار من أفريقيا إلى مصر بأهله وأمواله في ركب هائل تفيض الرواية الماصرة في وصف ضخامته وروعته^(٣) ، فوصل إلى الاسكندرية من طريق برقة ، في ٢٤ شعبان سنة ٣٦٢ هـ وهرج وفد من أكابر المصريين لقاؤه وتحيته عند النارة ، فقال لهم « إنه لم يسر إلى مصر لزيادة في الملك أو المال ، وإنما سار رغبة في الجهاد ونصرة للمسلمين وإقامة الحق والسنة »^(٤) . ودخل المزيّن القاهرة ، عاصمته الجديدة في أوائل رمضان ، ولما وصل إلى قصره خر ساجداً في مجلسه شكر الله ، ثم صلى ركعتين ، وصلى بصلاته كل من دخل^(٥) ؛ وسطمت في الحال آيات من عظمة الملك الجديد

(١) راجع ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٤

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٤ واتحاط الخطأ ص ٨٨

(٣) اتحاط الخطأ ص ٩٠

(٤) ابن خلكان ج ١ ص ٣٢٦ — انجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٧

٣ - فريزر ودراسة الخرافة

النواج^(١)

للدكتور ابراهيم يوسى مذكور

قد لا تكون الخرافة استولت على أية ظاهرة اجتماعية استبلاءها على الزواج وشؤونه ؛ ففرت قدره ، ودعت الناس إليه ، وحددت قيوده ، ونظمت ما يحيط به من طقوس ورسوم ؛ فلا يكاد المرء يفكر في أن يتزوج حتى تتسرب الخرافة مسرعة إلى تفكيره هذا ، محاولة أن تعين له الزوجة التي تليق به ، وواحدة عما إذا كان نجمها يتفق مع نجمه ، وطالعها يتلاءم مع طالعها . وكثيراً ما أحيطت حفلات المقد والزفاف برق وتماويز أملتها الخرافة وأحكمت وضعها . وبين ظهرانينا من هذه الخرافات الشيء الكثير ؛ « فالتبينة » ، وحساب الطالع ، وقراءة الكف ، « وضرب الرمل » ، ترمي غالباً إلى اختيار الزوجة الصالحة والشريكة الملائمة في الحياة الأسرية ؛ وإذا ما قرأ رأى الشاب والشابة على الزواج أسبغت عليهما الأحراز والتماائم التي تقيهما الساحر وضره والحاسد وشره . فتارة يكتب لها بالألفة والمودة ، وأخرى يحصنان مما يقع بينهما الشحنة والبقضة . ولم تتعنف الخرافة عن التدخل في العلاقات الجنسية بين المرء وزوجه فتثيرها وتنشطها ، أو تقف في طريقها وتقضي عليها . وكلنا يعرف خرافة « الحل والربط » السائدة في قرانا ، والتي كانت ولا تزال مصدر رزق لجماعة السحرة والنجارين ، وباب شر دائم وألم مستمر للزوجين ومن يتصل بهما من أهل وأصدقاء . طانت الخرافة كذلك على الأسرة المكونة فسولت لبعض الناس أنها قادرة على أن ترد الماقر ولوداً ، وتسلب أم الأولاد نسلها وتقضي عليها بالحرمان والعقم

لم يمن فريزر في كتابه « محاي الشيطان » بدراسة هذه

(١) تأسف جد الأسف لأن ظروفنا قاهرة قضت علينا بنقطع هذه السلسلة بضمة أسابيع . ولا يفوتنا أن نشكر الأستاذ محمد روسي فيصل على كلته البريقة (الرسالة : عدد ١٠٨ ، ص ١٢١٢)

الخرافات المتمدة ؛ وإنما تفرغ لأيضاح نقطة واحدة هي موضوع كلمة اليوم . وتتلخص في أن الخرافة غرست في القلوب حب الحياة الزوجية وتقديسها ، وحملت الناس على احترام القواعد الخلقية والقوانين الجمعية الخاصة بالعلاقات الجنسية بين العزب والزوجين . ذلك أنها أمارت على الزنا والفسق حرباً شعواء وصورتها في أقبح صورة ممكنة ، فأبمدت الناس عنهما بقدر ما قربهم من الحياة الأسرية المنظمة . فالزنا واللواط وكل اختلاط جنسي غير مشروع كانت ولا تزال لدى كثير من القبائل الممجبة من أخس الخطايا الخلقية التي لا يقع إثمها على مرتكبيها وذوهم فحسب ، بل يتسدام إلى الطبيعة فيقلب نظامها ، وإلى الآلهة فيثير سخطها وغضبها . وربما أدت قملة من هذه الفعال السيئة إلى هلاك الحرث والنسل ، وموت الزرع ، وبس الضرع ، وسقوط المطر ، والرعد والبرق ، ونزول الصواعق التي لا تبقى ولا تذر . لذلك أضحى الزنا وتوابعه جرعة شعبية تهدد المجتمع بأسره وتمدو عليه في أهم عناصر حياته من غذاء وماء وأمن وواقية

يزعم سكان برمانيا من أعمال الهند الصينية أن الزنا ذو أثر سيء على الحاصلات المختلفة . فإذا ساء المحصول في قرية من القرى أو انقطع عنها المطر عاماً أو عامين متتاليين اعتقد الناس أن ذلك راجع إلى ارتكاب الفحشاء التي أغضبت الآلهة . وإذا وقف البرمانيون على حادثة من حوادث الزنا ألزموا الجناة بشراء خنزير صغير يكون في سكب دمه ما يفسل خطيتهم الشقاء ؛ وقد جرت عادة التقرب أن يتنهل إلى الله حين يقدم قريته قاتلاً : « إله الأرض والسماء والجبال والمضاب ، قد أجذبت الأرض من أجلى ، فلا تنزل على جلم غضبك ونذير سخطك ، واراأف بي وارحمي . هانذا أصلح الجبال وأسوى المضاب وأحفر الأرض وأشق الأنهار ، فاللهم رد إلينا الحاصل المفقود ، ولا تضيع علينا أي مجهود ، وأخصب أرضنا ، ونم زرعنا »^(٢)

ويعتقد كذلك كثير من برايرة أفريقية الغربية أن الآلهة تعاقب بالجوع والخوف والقحط والجذب كل جماعة انتهك فيها عراض إذ اعتدى على محرم . ويرى أنه سنة ١٨٩٨م انقطع المطر

(١) Mason, Journal of the Asiatic Society of Bengal, (1868) s. XXXVII, 2= partie, p. 147 sq.

في بيدر يؤذى نمره وينقص غلته ويذهب ببركته
أما أخطار الزنا المباشرة وأثره السيئ في مرتكبيه أنفسهم ،
فيكاد يعلم بها في مختلف الجماعات الانسانية . وكثيراً ما علل
فقر الرجل وفشله في صناعته أو زراعته بفجوره ونفسه . وإذا
أصاب المرء أمر أو حل به حادث ، ظن الناس أن في هذا
انتقاماً منه لجرم اقترعه أو عرض انتهكه . والأمثلة في هذا الباب
كثيرة . سواء لدى القبائل الممجبة أم في الأمم التمدنية ؛
وستكتفي بعرض بعضها . فبدو روديسيا يلغنون كل امرأة
تموت أثناء وضعها ، ويتهمونها بالفجور والفسق وقتل روح
بريئة لانتم لها . وتزعم طائفة من سكان أفريقية الشرقية أن
الطفل الذي يمدو على زوج أبيه يصاب بعاة دائمة . وتقول
طائفة أخرى إن المرأة تموت إن أتى زوجها الفاحشة أثناء حملها ؛
وإذا لمس أب ابنه الصغير صبيحة أو تكلمه النكر مرض ولده
على الأثر . وحدث مرة أن مات ثلاثة أخوة في فترة قصيرة ،
فاتهمت أمهم بالزنا مع رحم محرم . ويعتقد كثير من القبائل
الممجبة أن خيانة الزوجة سبب محقق لفشل الزوج في صيده
ورحلانه وحروبه ؛ وربما أدى ذلك إلى موته . لهذا اعتاد كثير
من الهنود ، إن خرجوا إلى الحرب ، أن يجمعوا نساءهم في صيد
واخذ كل ترقب إحداهن الأخرى

فواضح إذن أن الزنا وما اتصل به ، في نظر كثير من الشعوب
البائدة والحاضرة ، خطر يهدد الفرد والأسرة والجماعة ؛ فليس
شره مقصوراً على مرتكبيه وحدهم ، بل يتعداهم إلى القبيلة جميعها
والشعب بأسره ؛ هو جناية عامة وجريمة شعبية تصيب الأمة
في أموالها وأرواحها . لذلك قسا الناس في محاربتهم وأزولوا بالزنا
أشد المذاب . وإذا صح أن نقيس الجريمة بما قدر لها من
قصاص ، استطعنا أن نقول إن الزنا من أشنع الجرائم التي عرفها
الإنسان ، إن لم يكن أشنعها . وهذه القسوة الزائدة في مطاردة
الزنا والزنا سهلة التليل ؛ فإن المسألة مسألة حياة وموت ، مسألة
دفاع عن مجتمع مهدد في أعز شئ لديه ، فهو مدفوع بطبيعته إلى
أن يحارب من يحاول الاعتداء عليه

ومن هنا كانت العقوبات الصارمة التي أزلتها الأمم والشرائع
المختلفة بكل من استباح عرضاً أو نجس على عفاف امرأة . قوانين

عن هذه الجهات زمناً طويلاً ، نجفت القدة ، واحتترقت أوراق
البياطن والنباتات الأخرى . فهرع الأهولون إلى تسهم
برجونهم أن يستكشفوا سر هذا السخط العظيم . وبعد تضرع
طويل وابتهاال خالص تبين هؤلاء القسس أن آلهة السماء غاضبة على
سكان الأرض لسوء سلوكهم . فجمع كل رئيس أتباعه ، وأرسل
فيهم السيون والأرصاد للبحث عن أصل هذه الجناية الكبرى . وقد
أدى البحث الدقيق إلى إثبات أن ثلاث فتيات أبجن أعراضهن
وأكلن بآلهتهن ؛ وما إن همت القبائل بمقابتهن حتى نزل المطر
مداراً^(١) . وتزعم كثير من متوحشي سومطرة أن الزنا مجلبة
للطاعون والأمراض المهلكة واعتداء الحيوانات المفترسة أمثال
النمر والتمساح . وعلى الجملة فمعظم القبائل الممجبة الباقية إلى
اليوم يعتقد أن كل اعتداء على العرض أو مخالفة لقوانين الزواج
مصدر عقوبات مهابية كثيرة أخصها انقطاع المطر وجفاف
الأرض ونقص الزرع

ولست هذه المعتقدات بمقصورة على القبائل المتوحشة ،
بل إن لها أثرًا لدى بعض الشعوب التمدنية . فالأعريق مثلاً يؤمنون
بعضها وينسجون للخرافة الجمال في الملاقات الجنسية كما أفصحوا
لها في شؤونهم الاجتماعية الأخرى . يروى سوفوكل أن بلاد
تيان أصيبت بالجذب والطاعون تحت حكم أوديب الملك الذي
قتل عفوا أباه وتزوج أمه . فأصبحت القرى والحقول قفراء ،
وأضحى كثير من المدن خراباً ياباً . وأعلن وحى (دلف)
أن لا سبيل لرفع هذه الطامة ورد الحياة إلى هذه الأرض الموات
إلا بطرد المجرم^(٢) . وفي شرائع بني إسرائيل ما يؤذن بأن ارتكاب
الفحشاء يغير نظام الطبيعة ، ويبدل سنة الله في خلقه . يقول
أيوب : « الزنا جريمة شنعاء ، وخطيئة تستوجب قصاصاً
لا مفر منه وفاراً تاكل اللحم والجم وتقضي على الحاصلات
كلها »^(٣) . وفي القرن الثالث الميلادي لم تؤث الحقوق الأرلندية
أكلها ، فيما يزعمون ، لأن أحد الملوك تزوج بأخته^(٤) . ومالنا
نذهب بعيداً وكثير منا يعتقد أن مرور الزاني بحقل أو وقوفه

(١) Dapper, *Description de l'Afrique*, p — 326

(٢) Sophocle, *Aedipe—Roi*, 22 sq. 95 sq.

(٣) Job, xxxi, 11 sq.

(٤) Keating, *History of Ireland*, pp. 337 sq

البدر الحسنى

محدث وتقرى أيضاً

للأستاذ عبد القادر المغربي

عضو مجمع اللغة العربية الملكى

وهي الكلمة التي ألقاها الأستاذ للفرير رئيس المجمع العلمى
في الحلقة الكبرى التي أقيمت على ذكر المحدث الأكبر
الشيخ بدر الدين الحسنى والد نخامة الشيخ تاج الدين
رئيس الوزارة السورية ، وذلك في يوم الثلاثاء ١٣ من
أغسطس سنة ١٩٣٥ ، وقد أقيمت الحلقة في مدرج
الجامعة السورية

شيخنا البدر ، أشبه ما يكون بالبحر : فهو من أى النواحي
أنبتته وجدت علماً وفضلاً ، ووجدت ورعاً وتقوى ، ووجدت
من جميل خصاله ومستحب أخباره مجالاً للقول ، وموضاً
لللمظة ، وموضوعاً للبحث

لكنني لضيق الوقت سأقتصر من ترجمة حياته على وصف (١)
طريقتنا في الدروس التي أخذناها عنه ، تعرفون منها أنه كان رحمه
الله نسخة طبق الأصل عن رجال سلفنا الصالح في ورعهم
وتقوهم ووقوفهم عند حدود الشريعة

(١) تفصيل وصف هذه الدروس وسيرة الشيخ بدر الدين في السنين
الأخيرة من مجلة المجمع العلمى

نرى بعد الذي تقدم أن الخرافة صورت الزنا والفسق بصورة
شنعاء لدى كثير من الشعوب قديماً وحديثاً ، وأبرزتهما في
مظاهر عالمين خطرين من عوامل القضاء على الفرد والأسرة
والجماعة ، وبنا استطاعت إلى حد كبير عمارتهما والقضاء
عليهما . وإذا كانت الجمية تنظر بعين السخط والمقت إلى كل
اختلاط جنسى غير مشروع ، فإنها تدفع الأفراد تبعاً إلى احترام
الزواج والخضوع لقيوده . وكل رأى أو عقيدة أو تشريع
يحارب الأباحية هو في الوقت نفسه سلاح قوى لتثبيت دعائم
الحياة الأسرية

أبراهيم يرمى مكرور
دكتور في الآداب والفلسفة

(له بقية)

(مانى) تقضى بأن ترسل على الزانية كلاب تنهشها جهرة تحت سمع
الجمهور وبصره ، وعلى الزانى بأن يوضع فوق حديدة نحمة يقلى بها
قلياً (١) . وتعاقد قوانين حامورابى الزناة بالشنق والاغراق (٢) ؛
وقد كان بنو اسرائيل يحكمون على الزانى غير المحصن بالرجم ،
وعلى المحصن بالقتل (٣) . ولا تزال بعض القبائل الهمجية تطبق
هذه العقوبات على الزناة في غير ماشقة . ففي افريقية الوسطى
يحجد الزانى وتهاجم حقوله ومنازله ويسلب ماله . وإذا تبين أحد
الأحباش أن أخته أو ابنته ارتكبت الفاحشة قتلها جهرة وقتل
عشيقتها معها . ولدى الهوثيثوث قانون مشهور يحكم على الزناة
بالقتل ضرباً بمصا غليظة . وقد اعتاد سكان الهند الشرقية أن
يرموا الزناة في عرض النهر بعد أن يتقلوهم بالحجارة ، فإذا استطاع
أحدهم النجاة عنى عنه ، وفي سومطرة يؤاد الزانى ويقبر حياً

وهناك نوع خاص من الفحشاء اشتد هولاه فقتت الجمية
في محاربتها ، وهو ما كان بين أفراد الأسرة القريبين كالرجل
وزوجة ابنته ، والمرأة وأب زوجها . ولكي يدرأ خطر هذا
النكر وضمت في سبيله عقوبات كثيرة تحول دون وقوعه ؛ وهذا
هو السر في أن القبائل الهمجية تباعد بين الأقارب الأقربين ،
في حين أنها لا تجد غضاضة في أن يختلط الأجانب ببعضهم بعض ،
لجماعة البنتو في افريقية الوسطى لا يسمحون مطلقاً للرجل بأن يتناول
طعام العشاء مع حماته ، ولا للمرأة بأن تتمشى مع حميها منفردتين ،
ومن الجرم أن يرى رجل حماته تأكل ؛ وعليه أن يكفر عن هذا
بمختلف القرائين ، وليس له أن ينعم النظر فيها ، وإذا خاطبها
وجب عليه أن يطاقط رأسه ويغض من طرفه ، وإن صادفها
على غرة أفسح لها الطريق ، وصارع إلى الغابة مخفياً كي لا تراه
ولا يراها تماماً . وأغرب من هذا أن أهل سومطرة لا يبيحون
للرجل أن يأكل مع صهره عارى الوجه ؛ وإذا رأى صهره فنه
مضوحاً أحس بنجل عظيم ، وتوارى في الغابات المجاورة ، فهذه
المادات والتقاليد الغريبة يفسرها شيء واحد ، وهو أن
هذه القبائل تحول دون أى اختلاط يكون وراءه ممسية
الأقارب الأقربين

(١) Laws of Manu, VIII, 371 sq.

(٢) Code of Hammurabi, parag. 129, 157.

(٣) Deutèrouowe, XXII, 22.

يتفق أن يكون هو في بلدٍ وهي في بلدٍ آخر فيحمل إليه البريدُ صورتها ، كما حمل جبريلُ صورةَ السيدة عائشة

كان يجري هذا الحوارُ في الدرسِ وشيخنا ساكت وأردناه على أن يفيدنا ما عنده في هذا الموضوع فلم يفعل ، وظل ساكتاً . واستدرجته مرةً إلى موضوعٍ عسريٍّ طريفٍ فأقنى به أو كاد . ثم عاد إلى الاعتصام بالسكوت :

ذلك أنه مرَّ معنا في حديثٍ مسلمٍ قوله : (لم أصلي فأتيمم) ، فقرأناها (لم أصلي فأتيمم) واستشكلت رفع (أصلي) ، فقال الشيخ (لم) للاستفهام لا للجزم ، وأصلي مستأنف مرفوع

فأعتمدت هذه الفرة وقلت له : إنهم اليوم اصطاحوا على علامات يرفعونها بين الجمل ، ويسمونها علامات التنقيط : وهي نقطة ، وتقطتان ، وواو صغيرة كالضمة ، وخط صغير أفقي ، وخط آخر عمودي ، وغير ذلك مما يستعملونه في مقامات التعجب والاستفهام والوقف

فقولُ الحديث (لم أصلي فأتيمم) ؛ لو وضعت علامة الاستفهام بعد (لم) لقرئت استفهاماً من أول الأمر

فهل يجوز لنا استعمال هذه العلامات المستحدثة في كتاباتنا كما استعمل السلف الصالح ما أحدثوه من النقط والتشكيل ؟

قال الشيخ : يجوز ، قلت ونستعملها في كتب الحديث ؟ قال يجوز ، قلت وفي القرآن . قال يجوز

ثم سألتني قائلاً : ولكن لماذا لم نرهم هذه العلامات في كتاب مسلم المطبوع الذي نقرأه ؟ قلت لأنه كتاب ديني .

وطابعوه يخشون إنكار بعض العلماء عليهم فلا يباع الكتاب ، فلم يضمنوا هذه العلامات ، واجتهدت أن لا أسميها له بأسمائها الأفرنجية مثل (Point) (Virgule) فلحظ الشيخ أن في الأمر

سراً ، فتبسم وضرب على كتفي وقال : « الله يسلحك » ولم يرد أن يفتي بشيءٍ جديدٍ قد يمكن أن تكون فيه شائبة بدعة

إلى هذا الحد كان شيخنا رضي الله عنه يحرم على سلامة الدين ويحذر أن يتسرَّب إليه شيء من البدع

ومن ذلك أيضاً أنه مرَّ معنا في الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تشييد المساجد ، وفسر ابن عباس التشييد بالزخرفة ، فقال بعض الأخوان : المراد بالتشييد رفع بناء المساجد .

فقلت بل الصحيح ما قاله ابن عباس من أن التشييد هو الزخرفة

في شهر ذي الحجة سنة ألفٍ وثلثمائةٍ وأربعٍ وثلثين بدأتُ بقراءة صحيح مسلم على شيخنا رحمه الله في دار الحديث الأشرافية ، وشاركني في هذه الدراسة قليلٌ من الإخوان ، حتى إذا أتممت صحيح مسلم وشرعتُ في سنن الترمذي ازدحم علماء دمشق وفضلادها على غرفة الدرس ؛ وكنتُ عدا ضبط الأحاديث والتعليق عليها ، ألتقطُ من فهم شيخنا بالنسبة فوائدٍ تتعلق بعلم الحديث ، من ذلك قوله :

— كلُّ حديثٍ فيه لفظ (الجبراء) مثل حديث (خذوا ثلثي دينكم عن هذه الجبراء) بمنون عائشة رضي الله عنها - فهو دليلٌ على ضعفه

— حديث (توسلوا بجاهي الخ) : قال شيخنا اشتهر على الألسنة وهو غير صحيح

— حديث : إن جبريل كان يدرسُ الطينَ في قعرِ قريونى لا ينطق بالشهادتين استبعدته أنا ، وأقرني الشيخ قائلاً : (الله أعلم بصحة هذا الحديث)

— وسمعتُه مرةً يروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ألهو وألبوا فاني أكره أن أرى في دينكم غلظة) وبديهي أن المراد باللهو واللغو الباطل شرعاً

وبمناسبة حديث الآمة التي سألتها النبي صلى الله عليه وسلم : أين ربك يا جارية ؟ فأشارت إلى السماء - قال الشيخ : (مرَّ عيسى عليه السلام برجلٍ يصلي وصنعتُه عملُ البراذع وهو يقول في سجوده : (ذلَّني ياربُّ على سمارك لأصنعَ له برذعة من ذهب) فاعترضه عيسى . فأوحى الله إليه : (دعه فإنه تجددني بحسب عقله) وكنا أحياناً نلج في الحديث بصيصاً من معنى يتعلق بأحوالنا الاجتماعية ، فريد شيخنا على التوسع في شرح الحديث ، فيأبى تورعاً وخشية أن تقع في باطلٍ من القول :

جاء في حديث عائشة أن جبريل أراه صلى الله عليه وسلم صورتها في قطعةٍ من جسد الحرير . فتساءلنا في الدرس عما إذا كان هذا الحديث يدلُّ على جواز التصوير ؟ أو على جواز أن يرى الرجلُ من يودُّ خطبتها من النساء : فيكون التصوير حاجةً من حاجات الاجتماع

فقال أحد الإخوان : مادام للرجل الحقُّ أن يرى خطيبته نفسها فليس ثم حاجةٌ إلى رؤية صورتها . فرد عليه آخر بأنه قد

من التمر واليمن والأرقط الذي هو ضرب من الجبن فكيف يقول الشاعر (لم يختلط) . ثم قلت للشيخ لعل صحة الرواية في البيت هكذا : (لكن شرطه أن يختلط) . ثم راجت كُتِبَ اللغة فوجدت رواية البيت كما قال شيخنا رحمه الله ورأيت علماء اللغة استشكلوا البيت كما استشكلته أنا . وأجاب بعضهم على هذا الاشكال بجواب لم يُعجبني

ومن عادة شيخنا رحمه الله أنه إذا طُلب منه أحد إجازة بالعلوم تمنع وتعتل بقول القائل (ولست بأهل أن أجاز فكيف أن

أجيز ولكن الحقائق قد تخفى) وأقول من مذكرات شاعرنا (خليل بك مزدم) - وكان رفيق في درس صحيح مسلم - هذا الخبر الذي يتعلق بي ، وقد أنسيت أنه أنا وهو : أنني قرأت يوماً على الشيخ عدة أحاديث يدل ظاهرها على عدم إيمان أبي طالب . فأطبقت الكتاب بين يدي وسألت شيخنا من حقيقة ذلك وأبيت إلا كلمة صريحة منه بطمئن إليها القلب في إيمان عم النبي صلى الله عليه وسلم . فامتض الشيخ من الخاسي ، وقال سبحانه الله يا شيخ عبد القادر أنت كاتب وأديب ، أما سمعت ما قاله (أبو طالب) مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم ودهوتني وزعمت أنك فاسع . ولقد صدقت وكنت ثم أميناً فأنت تسمع أبا طالب يقول لابن أخيه (ولقد صدقت) ثم تستشكل ؟

فسردت يعلم الله بجواب شيخنا كما سرتني استظهاره للشعر القديم واستحضاره له حين الحاجة إليه ولا عجب أن يكون شيخنا لغوياً ، فانه لا يكاد يوجد محدث إلا وهو لغوي ، ولا لغوي إلا وهو محدث ؛ لأن الحديث لا يمكنه أن يفهم معاني أحاديث الرسول إلا بفهم معنى كلماتها اللغوية ، واللغوي لا ترسخ قدمه في اللغة ما لم يستظهر الجمل الكثير من أحاديث الرسول ، تكون له عُدَّة في الاستشهاد بها حين الحاجة للغوي التفتن محدث ، والمحدث التفتن للغوي

وشيخنا الذي يحفظ على أقل تقدير خيبة آلاى حديث

وهو مشتق من (الشيد) الذي معناه الجص ، والجص عادة تزخرف به الأبنية . أما رفع بناء المساجد فأمر مستحب في عمارتها ، وذلك لكي يتخللها الهواء ويسهل التنفس على المصلين ، فالتفت إلى الشيخ وقال مبتعباً : وما دخل الهواء والتنفس في الدين والتشريع ؟ وجب من قولي أشد العجب

أما أن الشيخ كان متوسماً في اللغة العربية ؛ فهذا يلحظه منه كل من أطل بحالته ، وراجعه القول في تفسير غريب الحديث ؛ ولكنه رحمه الله ما كان يكثر من الاستشهاد بخصوص الأدباء ، ولا بأقوال الشعراء ، لما يقع فيها أحياناً من الغلو وعيب القول

وقد سمعته مرة ينشد بنقمة حزينه :

(أيا نجد لو كان النوى منك مرة

صبرنا ولكن النوى منك دائم)

وأشددني مرة أخرى :

صديق الصديق في الدنيا قليل

فمن لك إن ظفرت به فمن لك

لحاجته يودك كل شخص وذلك إذا قضاه منك ملك صديقك من إذا ما كنت منه

طلبت الروح بالعليك ملك

وجاء يوماً ذكر طرابلس الشام ولجونا فساكني : مامني

قولهم في المثل (من لم يحمي بشراب الليمون يحمي بشوكه

وحطبه) فتجاهلت الجواب لأسمع من فيه ولو مرة تفسير

النصوص الأدبية - كما سمعت منه مراراً تفسير النصوص

الدينية

فسره لي قائلاً :

المراد بشوكه وحطبه قضبانته وعيدانه . والمعنى من لم

يحمي باللين واللفظ ، يحمي بالشدة والسنف

وأشددني يوماً قول الراجز :

(التمر والسمن جميعاً والأقط

الحيس إلا أنه لم يختلط)

فاعترضت بأن الحيس هو حلوى للمرب تكون مختلطة

استعطاف بقلم رفيق فاخوري

هواك عن هذا الوجود شاغلي والوجد منذ غبت عني واصل
إبست مَوَاتَ خاطري بزورقِ واخطُ خطا الظلال في الخائل
واحمل إلى قلبي الكلم باسمًا وشافياً من عطفك المنع
ما سرتني أن النعم قسمتي إن لم تكن في ناظري ومسمى
لأنت حسبي من ضياء إن دجا يومى، وحسبي من هدى في حيرتي
رُدَّ على عيني بجلاءها ومُرَّ يسطع محبّاك على دُجْنَتِي
وينحيز عن مقلتي سهادها يا طالما منعها رقادها !
عدني أعش إلى غد بنظرة عابثة كم أخلفت ميعادها !
وبسمة تفتحني ولم تقل شيئاً ، وإنما البيان في الصور
إذا علتُ ثورك فدأها الحشا بديه ثم مشى على الأثر
وحمة أرق من نفع الصبا تسكن في أذني ما عاش الهوى
تألفها جوارحي فكلها أذن ، وينزاح عن الصدر الجوى
يا منية الوهان صل بعد النوى أو لا فخذ قلبي وخذ لسانيا
هذا شغلته بذكري دأمر وذلك قد أسهرته الليالي
رفيقه فاخوري

ظهور للأستاذ محمود غنيم

خليلى هل للمجد حد فأتتهى إليه لقد طال العبور ولم أرس
مأرب تترى ، ككأنك مأرباً تنازعنى عنه إلى غيره نفسى
فلا النفس إن أبلغت تقف عند غاية
ولا هي إن أخيق ترخى باليأس
كذلك أشقى ما حيت قلن أمت
فيا ليت شعري ما ورائي في رمسى
محمود غنيم

يحفظ على أقل تقدير ألف كلمة لنوبة بشواهدا من كلام الثبوة
فأنتم ترون أن بين شيخنا البدر ، وبين مجمعنا العلمى
العربى نسبة موصولة المحبب في خدمة لغة العرب
هو (رحمه الله) كان ينشر اللغة العربية بواسطة دروسه
الشهورة ، ونحن ننشرها بوساطتنا الجمعية المروفة
أذكر أنه زارنى يوماً في دار المجمع العلمى ، فأجلسته في
صحن المدرسة ، خشية أن يرى في ردهتها صور المتوفين من
أعضاء المجمع ، معلقاً على جدرانها ، فيمتنع عن الدخول
كما هي عادة

وبعد أن استقر به المجلس سألتى : وماذا تصنعون هنا ؟
قلت : إننا مولانا نشغل في خدمة اللغة العربية وننشرها
وفي ذلك خدمة للدين الاسلامي ونشره
ولذا أخذ تلاميذه (اللطفاء) يلمس كنفه من ورائه ،
ويشير إلى التماثيل الحجرية النصوبة في أحد أركان المدرسة ،
فقال لي الشيخ : وما هذه التماثيل ؟ وأشار اليها بأصبعه

فسمعت إذ ذاك بخطورة الموقف ، وبصعوبة الاعتذار عن
وجود تماثيل في صحن مدرسة دينية اسلامية ؛ غير أن الله
ألهمنى جواباً تضمن حقيقة مقولة ، لكنها وبالألف
منسية بمجهولة

قلت : إن هذه التماثيل تجتمع في دور الآثار للاستدلال
بها على تاريخ الجاهلية الأول ، ويدخل في ذلك عبادة تلك الأمم
للتماثيل ، وإرسال الرسل لاقادهم من تلك العبادة ، كما كان من
نبينا صلى الله عليه وسلم منذ أقدم أهل الجاهلية من الشرك ،
وسقّل نفوسهم بصقال التوحيد

ولكننا اليوم نرى الناس قد أغفلوا دراسة هذه الناحية
من تاريخ الأمم القديمة ، ونسوا نعمة الله عليهم بالبعثة المحمدية ،
حتى إذا رأوا هذه التماثيل في المتاحف تذكروا النعمة ،
وحمدوا الله عليها

قلت هذا وسكت متظراً ماذا يقول الشيخ ؟ فلم يقل
إلا خيراً وتبسم ودعالي وللمجمع
رحم الله شيخنا البدر ، وأثابه عن حياته الصالحة
بأجزل الأجر ...

المفدى

وراثه العبقريه

« نمرت مجلة (النهر) الفرنسية بحثاً طويلاً في وراثه العبقريه استعرض فيه كاتبه أحدث النظريات العلمية هنا للوضوح . فأكثرتا على قراءة الرسالة »

شملت مسألة وراثه العبقريه طائفة كبيرة من العلماء والفلاسفة منهم جالتون وموياس وريو ولبروزو وكوتشمر وغيرهم من الباحثين .

وهذه المسئلة تبدو في أشكال مختلفة . تبدو أولاً كحالة خاصة من مصفة الوراثه على العموم . إذا ما هي الآثار التي يتركها الآباء والأمهات ؟ وبأى الأشكال تظهر ؟ وما هي الآثار النمائية في تكوين الشخصية للوراثه المجردة من جهة ، وللبيئة والتربية من جهة أخرى ؟ وهل أثر الوراثه دائم أو غير دائم ؟ وهناك وجهة نظر أخرى تعتبر العبقريه والقضاء شذوذاً إذا قورنا بحالة الشخص العادي . وكثيراً ما يصحب هذه العبقريه وهذا القضاء فقدان التوازن الجسماني ، وغالباً في التوازن النفسي . كذلك قد تصحبها حالة جنون

ولأننا نعلم أن عدداً من هذه الأمراض ينتقل بالوراثه ، كان لنا أن نتساءل عن مدى هذا الاتجاه للزواج : وراثه العبقريه ، ووراثه الاضطراب العصبي أو المرض

إن مما لا شك فيه أن (في بعض الحالات) تكون العبقريه أحياناً وراثية . وقد ظهر ذلك جلياً في كثير من رجال العلم والموسيقين والمصورين والشعراء وكبار الكتاب

فبين العلماء استطاع جالتون أن يجد أسراً كان بها طلمان وأحياناً ثلاثة أو أربعة أو خمسة ، وأحياناً أخرى أكثر من ذلك .

ووجد موياس ٢١٥ أسرة اتفق فيها أن كان الأب والابن وافر في الاستعداد الرياضي ، (بين هذا المدد ثلاثة وثلاثون والدًا لكل

منهم أكثر من ابن واحد موهوب) . وقد وجد هذا الاستعداد في ثلاثة أجيال متتالية سبع عشرة مرة ، وبين خال وابن أخته

عشرين مرة : وبين أبناء العم مرتين ، وبين أشقاء وأشقاقات ١٣١ مرة ، وبين أكثر من شقيقين ثلاثة وعشرين مرة . وكان العالم

الفلكي الكبير (دومينيك فرانسوا أرجو) له ثلاثة أشقاء وولفان كلهم موهوبون في استعدادهم الرياضي . وكانت أسرة برنولي

Bernoulli أعظم أسرة علمية عرفها التاريخ مما دفع الأستاذ دويليه الفلكي بمصد بورديو أن يخصص للكتابة عنها كتاباً

صدر عام ١٩٢٩ وسماه Les Bernoulli et le Bernoullienisme وفي

هذا الكتاب ذكر الأستاذ دويليه أن أسرة برنولي شملت كرمي العلوم الرياضية في جامعة بال — مسقط رأسها — مائة

عام وثلاثة دون انقطاع ؛ وبقيت أكاديمية العلوم في باريس تحوي أحد أفراد أسرة برنولي مدة واحد وتسعين عاماً متتالية

وكما نرى أثر الوراثه بين العلماء نراه أيضاً بين الشعراء . وقد

وجد جالتون اثنين من المبالغة في الشعر بين أسر : بيرون

وشنبيه وجوته وهين وراسين وثلاثة أو أربعة في أسر :

أسكيل وارستوفان وكورني وملتون وخمسة أو ستة في

أسرتي كولريج ووردنورث

ووجد جالتون اثنين من الكتاب والأدباء في كل أسرة من

أسر بوسويه وشاتوبريان وشامبليون وادجار بون ومل . . . الخ

وثلاثة أو أربعة في أسر بنتام وبوالو وفيلونوليسينج وسفيني ،

وخمسة أو أكثر في أسر فيلينج وماكولي وشليجل وستايل وغيرها

وبين الموسيقيين نجد أسرتي بلخ Back وسترس Strauss هما

الأسرتين اللتين ظهر فيهما أكبر عدد من الموسيقيين . ويبدأ

تاريخ أسرة بلخ عام ١٥٥٠ ، واستمر يظهر منها الموسيقيون

الموهوبون ثمانية أجيال متعاقبة ؛ وكان من طائفة هذه الأسرة أن

يجتمع أعضاؤها الغرمون بالفنون مرة في كل عام ؛ فكان يصل

عدد المجتمعين أحياناً إلى مائة وعشرين فناناً ؛ وقد ذكر فتيش

Fétis أن هذه الأسرة حوت سبعة وخمسين موسيقياً منهم تسعة

وعشرون كانوا في عداد النابضين

على أننا لا ينبغي أن نخرج من هذه الحقائق بأن العبقريه

(دائماً) وراثية . إذ أن توارث العبقريه محدد بصفة أجيال فقط ،

كما أنه ليست هناك قاعدة عامة لتوارث العبقريه . بل بالأحرى

هناك استثناء . ويمكن أن نقول أكثر من ذلك وهو أن العبقريه

الحقيقية دائماً بمنزلة ، أو كما يقول لودوا Lordat : (إن المبالغة هم

أطفال لقطاء ورجال أعزباب) Les génies sont des enfants

trouvés et des célibataires . ويقصد بذلك أن الطبيعة تمسح حين

يخلق العبقري

وقد ذكر مورو دوتور أن بين طبقات المجتمع التي تحوى أكبر عدد ممكن من الرجال المتأثرين بذكائهم الشديد يوجد أيضاً أكبر عدد ممكن من المجانين . وقد لاحظ كل علماء النفس أن هناك عدداً من المجانين لهم أقارب يتميزون بذكاء متفاوت درجته . من ذلك أولمبيا أم أسكندر الأكبر التي كانت امرأة فاسدة الخلق ظاهرة الوضاعة . وكان أب الاسكندر داعراً إلى أقصى حد . وكان الاسكندر نفسه مصاباً بحالة عصبية في كوعه . وكان شقيقه أريدوس — الذى قتل بأمر أولمبيا — أبله معتوها

وكان ابن برناردين دوسانت بير ، وإحدى بنات فكتور هوجو ، ووالد وأشقائه ثيلمان ، وشقيقة الفيلسوف كانت ، وشقيقة هيجل ، وغيرهم وغيرهم كانوا جميعاً مجانين . وكانت شقيقة ريشليو تصور أن ظهرها من البلور ، وكان شقيقه معتوها . وكان والد الموسيقى بينهوفن مدمناً الخمر ، وكان الشاعر بودلير نفسه نصف مجنون . وقد كتب يقول : (إن والذى الذين كانوا إما معتوهين أو مجنونين قد ماتوا نحيت جنون قطيع) وكان والده الشاعر الأمريكى الشهير ادجار پو شديداً اللذان لتعاطى المشروبات الروحية

وكانت تحدث لسانو بريان حركات تشنجية في ذراعه ، وكان دائم التفكير في الانتحار ، وكان أخوه نصف مجنون ؛ وكان والد بلزاك غريب الأطوار ، وكذلك كان بلزاك نفسه . وكانت جورج صاند شديدة الانقباض والحسرة وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، وقد حاولت الانتحار فيها بعد عدة مرات . وقد كان والدها يشبهها من هاتين الناحيتين . وكان كثير من أقارب هوفمان مجانين . أما هوفمان نفسه فقد أصابه الخرق لطول استسلامه للشراب ، وكان يتصور أمام عينيه أشباحاً ويصيه من جراء ذلك الرعب الشديد ، فيطلب من أمه أن تجلس بجانبه . وكانت خالة ميرتر مجنونة وأخته شديدة الكآبة ؛ وقد جن ابنها وكان أثر الوراثة المرضية بارزاً في لورد يردون . إذ كان أبوه رجلاً فاسد الخلق وحقاً . وكانت أمه غريبة الأطوار متكبرة طائشة . كذلك كان شوبنهور وارثاً لما كان عليه من غرابة الميول واضطراب الأعصاب . فقد كانت خالة جدته وجدتها مجنونين . وكان أبوه تشابه نوبات قوية من الغضب المتزايد والمهم

ولو كانت المبقرية تنتقل بالوراثة دائماً لكان من الضروري أن توجد (أجناس) معينة من المباشرة . وهذا مالا وجود له . (إن المبقرية حادث فجائى يكون أحياناً وراثياً) Le génie est un accident, qui est parfois héréditaire . وقد ذكر لومبروزو للملاحظة الآتية : (إذا وضعنا جانباً عدداً قليلاً من الحالات الاستثنائية كالتي نجدتها في أسردارون وكاستيني وبرنولى وسان هيلير وهيرشل ، وجدنا أن المبقرى لا ينقل إلى ذريته إلا أتبهاً حقيقياً يعظمه في عيونا الاسم المجيد)

إن أبناء المباشرة هم فى الغالب مخلوقات عادية بل أقل من العادية . ويقول ج . مورو دوتور : (إن الملاحظة العامة تربنا أن غالبية أبناء الرجال المباشرة ليسوا فقط أقل من آبائهم ، بل هم كسائر الناس العاديين) ، وقد أكد ألكسندر تاسونى Alexandre Tassoni أحد كتاب القرن السابع عشر أنه كثيراً ما يحدث أن ينجب آباء عباقة أبناء عظيمى النبوة ، وآباء شديداً النبوة أبناء علماء . واستشهد على النوع الأول بأبناء أفريكان الكبير وأنطوان وشيشرون ومارك أوريل وسقراط . ويستند أوسوالد الكيميانى الألمانى الشهير أن أبناء الرجل المبقرى لابد أن يكونوا أقل منه

وذكر تاسونى رأى أحد العلماء المعاصرين له وكان يفسر النقص فى كثرة أبناء الرجال المباشرة بقوله : (فى الرجال العظام تتجمع معظم القوى الحيوية فى المخ كىما تقويه وتبعث الحياة والعنف فى القوى الفكرية . ولهذا السبب يكون الدم والخلية باردين ضعيفين . والنتيجة أن يكون أبناء أولئك الرجال وخصوصاً المذكور أعيناء)

وهناك حقيقة أخرى هامة فيما يختص بوراثة المبقرية ، وهى أن هناك ظواهر من الجنون والاضطراب العصبى تحول دون وراثة هذه المبقرية . ذلك أن المبقرى تصحبه ظلاً أنواع خاصة من الأمراض النفسية . وكثيراً ما يلاحظ المرض العقلى عند صلف وخلف الرجل المبقرى . ومن المعلوم أن الجنون ينتقل غالباً ويكثر شديداً فى الأجيال القريبة . وحالات الجنون الوراثى فى ثلاثة أجيال متعاقبة عديدة جداً . وكان الجنون فيها فى الغالب من نوع واحد . والآن ، أليس هنا تشابه — وإن لم يكن كاملاً — بين وراثة المبقرية ووراثة الجنون ؟

إلى التحام الجنينين ببعضهما إذا كانت الأم تحمل اثنين : وهذا الشذوذ قد ينتقل بدوره بالوراثة . على أن انتقاله يكون بدرجة محدودة ولبعض أجيال فقط ، والاضطراب الذى يحدث فى حالة عدم استمرار التحام الجنينين قد يكون أثره فيما بعد إما أن ينتج عبقرية وإما جنونا ، أو اضطرابا فى الأعصاب ؛ وقد تجتمع الحالتان معا . وأخيرا قد تتبع كل منهما الأخرى ، أى أن يجمع الشخص أحيانا صفات المبقرى وموابهه ، وأحيانا أخرى اضطرابا فى الأعصاب يجعله أشبه ما يكون بمجنون حقيقى وهناك أنواع من الشذوذ تنتقل أحيانا بالوراثة ، وأحيانا لا تنتقل ، مثل الحول ، وقصر النظر ، وصغر أحد أعضاء الجسم أو كبره أكثر من الحد الطبيعى ؛ وأحيانا يكون هناك اتجاه نحو مصادر الانسان الأولى . وقد تكلم عن ذلك ريبو فى كتابه عن (الوراثة) إذ ذكر أن أسرة كلبيون كان بها شذوذ الست أصابع Sexdigitisme (أى زيادة أصبع فى اليد أو فى القدم) وقد استمر هذا الشذوذ فى الأسرة مدة أربعة أجيال

والآن ، أليس هناك تشابه بين الشذوذ الجنائى والشذوذ العقلى الذى يسمى المبقرية والذى تكون فيه الوراثة أيضا معدودة ؟ ذكرت مدام تاجوت ولبوكفنتش أن سيدة كانت تتبع عبثا وسائل لإجهاض نفسها ، فعند ما وضعت الطفل فى ميعاده المعتاد كان هذا الطفل قوى البنية ولكنه كان أبله . وكانت والدة (كاردان) قد حاولت إجهاض نفسها أيضا عدة مرات دون جدوى ، وكانت النتيجة أن أصبح الطفل الذى ولدته وهو (كاردان) عبقرىا فذا ؛ وقد تكون محاولة السيدتين كلتيهما لإجهاض نفسيهما ليس هو السبب الحقيقى ، لكن هذا التشابه كاف لأن يرينا كيف تنتج حالات الشذوذ التى تسمى بالمبقرية .
والتي هى وراثية ولكن إلى درجة معدودة

إذن ماذا عسى أن يكون قانون هذا الشذوذ ؟ ذلك ما لا يعلمه أحد . ومنذ بضعة أعوام قال الأستاذ ج . هكسلى إنه قد يمكن فى المستقبل أن يجعل كل طفل عبقرىا بتغيير بعض غدده ، وقد يكون ذلك حلما خياليا . على أن مجموع الحقائق المعروفة تثبت أن فى تكوين المبقرية قانونا ينتج (شذوذا) خاصا . فمن يدري ؟ قد يستطيع الانسان فى حالة فهم هذا القانون ودراسته أن يصنع المبقرية ما

(...)

الدفين الذى يكشف عن نفسيته المريضة وكانت أسرة الفيلسوف رينان - الذى كان يعذبه اضطراب أعصابه - تسودها أنواع مختلفة من الجنون ؛ وكان عمه مافونا . وقد قضى حياته فى التصلب حتى وجد ذات ليلة ميتا على قارعة الطريق . وكان جد رينان شديد الوطنية عظيم الاخلاص ، ولكنه قد عقله عام ١٨١٥ م نتيجة هم ألم به . وقد أصبحت بلدة تريجوير التى ولد بها رينان مملثة بالمجانين وأنصاف المجانين نتيجة إكثار أهلها من زواج بعضهم ببعض
فما ذكرنا يظهر أن المبقرية ليست معدودة . وأنها لا تمتد إلا لأفراد مخصوصين ، فلا بد إذن من أن نعرف أن هناك شيئا آخر غير الوراثة المجردة . إن المبقرى يظهر فى الأسرة فى لحظة معينة ولا يمكن أن يظهر قبل ذلك . كذلك قد يتبعه وقد لا يتبعه عباقرة آخرون . والأب المبقرى قد يكون له ابن عادى ، وقد يكون هذا الابن غبيا . وإذا استمرت الأسرة فى إنتاج عباقرة كثيرين فإن هذه الظاهرة تقف بعد بضعة أجيال كأن الطبيعة قد نالها الرهق والنسي . وأخيرا كثيرا ما يحدث أن يحمل الجنون عمل المبقرية ويكون ذلك راجعا إلى نوع خاص من الوراثة متأثر بعوامل غير وراثية

وقد قال البعض : إن الوراثة والبيئة يتعاونان معا بنشاط على إيجاد المبقرى ، إذ أن (الوراثة) لا تنتج فى الرجل إلا (ما يمكن أن يكون) وليس ما سيكون ، أما آثار الوسط وحدها فهي قادرة على تحويل الاحتمال إلى أمر واقع . على أن (الوسط) لا يكون تأثيره بعد الولادة فقط ، بل إنه يؤثر فى الشخصية المستقبلية قبل الولادة ، وذلك بطرق مختلفة

ولقد عملت أبحاث فى جلاسجو عن علاقة عدد المواليد بالذكاء فظهر أن عدد المواليد يزيد عند الرجال الأقل ذكاء ، كذلك الأسر يتكاثر عددها كلما قلت الكفاءة العقلية عند أعضائها

إن المبقرية شذوذ وشروء عن الحالة العادية ، وهى بلا شك اضطراب أكيد ؛ هى حادث فجائى ، وكذلك الجنون ، وهذا الحادث الفجائى قد يرجع إلى حالة الوالدين قبل الحمل أو إلى اضطراب بصيب الجنين ، فما يحدث للوالدين قد ينتج عند الطفل نوعا من الشذوذ النافع ، وقد ينتج تشوها فى خلقته ، أو يؤدى

دراسات في الأدب الانكليزي

٤ - وليم وردزورث

William Wordsworth

بقلم جريس القسوس

تمت

المركز الابتدائية

نواحيه ، كهوته ، منهي حياة

أهم أبطال هذا المظهر يرون وشلي وكيتس . وتتميز هذه الحركة أيضاً بالتقرب إلى الطبيعة وانتزاع الموضوعات الأدبية منها ، والابتكار في اختيار الموضوع ، والتفنن في التعبير عنه ، لا النسيج على منوال الأقدمين كما هو شائع في العصر الكلاسيكي وإذا ما ألقينا نظرة على شعر وردزورث ألقينا بمثل الأدب (الرومانتيكي) أصدق التمثيل ، وما يصدق على شعره يصدق على آرائه ونزغاته ، وخاصة في مسهل جهاده الأدبي ، حينما كان من أنصار الثورة الفرنسية التي كانت ثمرة فلسفة روسو بطل الحركة الابتدائية

أما أبطال هذه الحركة فهم : الفيلسوف الشهير كانت في ألمانيا ، والسكردينال وسلي في بلاد الانكليز ، وروسو في فرنسا . ولا غرو في أن الأخير كان فارس هذه الحلبة وسيد زعمائها في مختلف البلدان . فقد نادى بالرجوع إلى الطبيعة ، وببساطة العاطفة على أعمال الانسان ؛ ونظريته في التربية تلخص فيما يلي : « ترك غريزة الانسان وجسمه وقواه العقلية تنمو في مجراها الطبيعي ، وذلك بنبذ قيود المدنية الحضارة ، والتقرب من الطبيعة »

وبعد مرور نحو ربع قرن على وفاة فيلسوف الثورة رجع شاعرنا بسدى صوته في إقليم البحيرات ، وأصبح حامل اللواء (الرومانتيكي) في بلاد الانكليز . وتحتاز هذه الحركة بسمو مقام الرجل العادي ، فقد أصبح موضوع الأدب بدل الرجل الارستقراطي ؛ وهذه اللبزة تظهر بجلاء في قصص سرولتر سكوت ، ودكنز ، وفي معظم قصائد شعراء القرن التاسع عشر ، وتشجع هذه الحركة حب الأطفال وتقليد لهم - كما أسلفنا - أقرب إلى الفضيلة من الشيوخ . ولقد رأينا شيئاً من هذا في أشعار وردزورث ، وظهر شيء منه في نثر « لامب » وخصوصاً فصله الشهير : « أطفال الحلم » ، وفي أشعار سوتيرن أحد شعراء القرن التاسع عشر الآخرين . وتحتاز أيضاً بالولع بالحيوانات الأهلية منها والبرية ، وبحب القصص التي تدور حوادثها على الحب والحرب ، خصوصاً ما كان منها شائناً في المصور الوسطى ؛ والتي بطلها الرجل العادي لا الارستقراطي . ومن أهم مظاهرها شيوع الدين والتقوى ، والتأمل والبحث في أسرار الكون ، والخروج على العادات المألوفة ، والتمرد على الهيئة البشرية . ولقد اتخذ الأدب سلاحاً لمحاربة مخاوف الحضارة وقيودها ، ومن

تزوج وردزورث سنة ١٨٠٢ م من ماري هتشسن ، من تلك العائلة التي كان يكثر من الترداد عليها . ويروي أنه أضاف أن يفتر زلته مع خدينته « أنيت فالون » قبيل إقدامه على الزواج ، لهذا شرع في استرضائها بشتى الوسائل ، والظاهر أنه نجح في ذلك . والذى نعلمه أن (أنيت) هذه لم تلاق جفاءً ومضناً في عيشتها ، وأن ابنتها زوجت من أحد السراة . وفي قصيدة للشاعر موضوعها « على الشاطئ قرب كاليب » يخاطب ابنته هذه ويرحم بها بكل وداد وتحنان . على أن هذه القصة لا تزال طي الخفاء ولم ينكشف لنا منها إلا الشيء القليل . والباحث في ترجمة حياة وردزورث وتحليل عبقريته يود لو أنه ذكر لنا تلك الحادثة بالتطويل شارحاً بذلك عواطفه نحوها وحبها لها قبل وبعد وقوعه في الجرم . لو فعل الشاعر ذلك لوفر على الباحث الشيء الكثير من الحذر ، ولأنار لنا هذه الناحية المهمة من حياته غير تارك بذلك مجالاً لتقول التقولين ، وإشاعات المشيعين ولقد وجد في زوجته امرأة سامية الخلق طالية المداير شديدة العطف والاحساس ، لا تقل بذلك عن أخته دوروثي . فلا عجب أن رأينا دوروثي تنحدر إلى الراحة بعد أن أدت واجبها إلى أخيها ونحو الأدب بكل أمانة وإخلاص ، إذ رأت في امرأة أخيها خير خلف لها . ولقد خلد الشاعر اسم زوجته هذه في قصيدة موضوعها « هي مثال الرضا » She was a Phantasi of delight

وفي سنة ١٨٠٨ ورده نى أخيه يوحنا ، فقد مات غرقاً في أحد المراكب التي كان يتولى إدارتها . فكان ذلك باعثاً للحزن والأسى في نفسه . وعلى أثر موت شقيقه نظم قصيدة خالدة عنوانها « أخلاق المجاهد السعيد » The character of the Happy warrior مشيراً فيها إلى أخيه وحياة الحفاة بجليل الأعمال ؛ وهذه القصيدة

أن ترفك إلى المركز القى يليق بمقامك الأدبي والاجتماعي ،
مادمت في رأيها ورأى الجميع سيد الشعراء الأحياء على الإطلاق ؛
فلا ترفض هذه النعمة »

وبعد ما اطلع وردزورث على هذا الكتاب الرقيق قبل
هذا النصب السامي فتزوج باكليل من غار ، وأصبح خليفة ملتون
الأوحد ، ولم 'ينتج' بعد نبوئه هذا المركز الرفيع شيئاً خالفاً ،
بل استولى عليه الحول منذ زواجه ، ومنذ أن بدأت الحكومة
تمده بمعاش سنوي كاف . ومن القصائد الشهيرة التي نظمها
بعد ذلك الأوان واحدة ضمنها ولاءه وشعوره نحو صاحبة الجلالة
قدّمها إليها مع نسخة من ديوانه

وفي سنة ١٨٤٧ م توفيت ابنته (دورا) فجلت بذلك
وفاته . وكانت وفاته في الثالث والعشرين من ابريل (في اليوم
الذي توفي فيه شكسبير) من سنة ١٨٥٠ م . وهكذا خد ذلك
النفس الذي كان يلهب عاطفة وعطفاً على الفقراء وولماً بالطبيعة
ولقد دفن جثمانه في كنيسة في (قراسير) - حسب طلبه -
في حضن ذلك الوادي الذي نشأ فيه وترعرع ، وبه تنقّي ،
وبذكره أشاد .

ولقد أقيم له نصب تذكاري من رخام في مقبرة الشعراء في
(وست منستر أبي) محيط به أنصاب تذكارية لكبل وأرتلد
وكنجزلي وموريس ، وتتش على هذا النصب الكلمات التالية :
« لقد كرى وليم وردزورث الشاعر الملهم والفيلسوف الكبير
الذي وهب عقلاً نقيراً ، ولساناً غنياً ، ليتحدث إلى الطبيعة
والبشر ، الذي لم يأل جهداً في نشر الفضيلة والكمال ، والقي
تنقّي وأشاد بذكر البسطاء والفقراء ، فذاع صيته بين العام
والخاص ، وأصبح رسول الحق وزبّ الشعر . قد كراه يشيد
أصدقائه والمجربون بأدبه هذا النصب التذكاري ، لينطق بنبوغه
على مدى الأيام »

الكرك - شرق الأردن مبرس القصر

مصادر هذا البحث

- 1 George Harper's W. Wordsworth, Life, Work and Influence
- 2 Zeitlin's Hazit on Eng. Literature: ch. X
- 3 Wordsworth's Poetical Works: Students Camb. Edition
- 4 Goss' English Literature; Vol. IV
- 5 Cazamian's Eng. Literature; P. 1034 ff
- 6 Oliver Elton's Survey of Eng. Literature; Vol. II; P. 49 ff
- 7 Moody and Leavit's English Literature; P. 273
- 8 Wordsworth's Preface to Lyrical Ballads

من الشهرة ما جعل الانكليز والأمريكان يتلونها في ماتمهم ،
فيجدون في ذلك ما يمزّي النفوس ويسرّي عنها الأحزان
وفي تلك السنة أيضاً انتقل الشاعر وامرأته وأولاده الأربعة
إلى الآن يارك إلى بيت رخب الفناء جميل الشكل حيث أتم
قصيدته : (الزهرة) . هنالك اقترق الشاعران الصديقان كولردج
ووردزورث ، وذلك على أثر تعريض ووردزورث بصديقه ووصمه
إياه بالجنون الناتج عن إدمانه الأفيون ، فكان لهذا أثر بليغ في
نفس كولردج لم يطق بملء العيش معه ، وباتهاء صداقتهما انتهت
حياتهما الأدبية الحسنة ، ويندر أن نجد بين عيون قصائد
وردزورث واحدة نظمت بعد ذلك الافتراق

وفي سنة ١٨١١ انتقل شاعرنا إلى بيت مجاور لأحدى
الكنايس حيث توفي اثنان من أولاده ، إلا أنه لم يمكث هناك
طويلاً ، بل رحل سنة ١٨١٧ إلى بيته الجميل في (كدل ماونت)
حيث أتبع له أن يلقى شخصيات ذات أدب جم ومكانة اجتماعية
سامية ؛ ولقد قام برحلات شتى أهمها إلى أواسط أوروبا ، وأخرى
إلى سكوتلندا ، وعلى أثر رحلته الأخيرة نظم خمس عشرة قصيدة
تفيض بذكريات الطفولة وأحلام الشباب ، منها قصيدته المشهورة
(الحصاد المنزول)

ولقد لبث طيلة هذه المدة مكلوم الفؤاد ، حزين النفس ، لما
حل به من المصائب والويلات المديدة ، ولما كان يلاقيه من جفاء
وخصومة في الأوساط الأدبية . غير أنه حدث في سنة ١٨٣٩
ما طيب نفسه وسرى عنه شجونه وهوموه ، وشجعه في مبدئه ،
فقد عرفه كيبيل Keble أحد كبار أسانذة كبردج إلى إحدى
الشخصيات الكبرى في البلاط ، وأشاد بذكره أمام ذوى
المناصب السامية ، فذاع صيته بين الخاص والعام ، وأحرز مركزاً
رفيعاً في الأدب لا يقل عن مركز ملتن

وفي سنة ١٨٤٢ منحت الدولة مرتباً سنوياً مقداره ٣٠٠
جنيه تشجيعاً ومكافأة له ؛ وبعد موت روبرت سذى سنة ١٨٤٣
عرض عليه منصب شاعر الدولة ، فرفضه في بدء الأمر بلوغه
الرابعة والسبعين ، وقيل لأنه رأى صعوبة وعناء في نظم قصيدة في
كل سنة يلقيها في عيد ميلاد الملكة كما جرت العادة قبله ، غير أن
رئيس الوزراء سر روبرت بيل عاد وبمث إليه بكتاب تقتطف منه مايلي :
« لما كانت صاحبة الجلالة تولىك نقشاً الثالية فبادر بقبول
هذا المنصب ، وكن عند أملها فيك . وإنها لتتوخي بعملها هذا

صور من التاريخ الاسلامي :

عبد الله بن الزبير

(١ - ٥٧٣)

بقلم محمد حسني عبد الرحمن

تمة ما نشر في العدد الماضي

وقد يكون من الانصاف للحق والتاريخ أن تثبت هنا آراء غيره ، بمن تأسروه ، في أسباب طلبه هذا الأمر ، وانهما فيه : يروي السمودي أن ابن عباس كان يقول « أما والله ما عرفت عبد الله إلا صواماً قواماً ؛ ولكنني ما زلت أخاف عليه منذ رأيته تجنيه بفلات معاوية الشهب ؛ وكان معاوية قد حج فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء ، عليها رحائل الأرجوان ، فيها الجوارى الحسنان ، عليهن الثياب مصفرات ، ففتن الناس بموكبه »

وقال ابن الزبير لامرأة عبد الله بن عمر بن الخطاب : لاني لم أخرج ولم أطلب الخلافة إلا غضباً لله وللسلمين من آفة معاوية وابنه ، فهم يستأثرون بالنزول دون الناس ، ويستحلون محارم الله . قال هذا وسألها أن ترجو زوجها في مبايسته ؛ فلما جاء زوجها ذكرت له ابن الزبير وعبادته وجهاده ، وأمنت عليه قائلة إنه يدعو إلى طاعة الله عز وجل وأطاعت في مدحه ، ثم طلبت من زوجها أن يبايعه ويؤيده ، فأجلبها ابن عمر « وبحك ! أما رأيت البتلات الشهب التي كان يحجج عليها معاوية قادمًا إلينا من الشام ؟ قالت ، بلى ! قال والله ما يريد ابن الزبير بعبادة غير من ! » فهذان اثنان من أقطاب الرجال في عصره ، ومن قوى الشرف والفضل والزهادة في السلمين ، يقرران أنه ما ينشأ إلا الدنيا ، وأنه يتخذ من العبادة سلايق به إلى قلوب الناس ، ليسا يمدوا على قضاء مآربه في الخلافة

والقبي يمكن أن نستنبطه من ظروف الحوادث في ذلك العصر ، أن سميه وراء الخلافة كان مبنياً على طائفة من الأسباب إذا راعيناها جميعاً ، أمكن التوفيق بين وجهات النظر المختلفة ؛ فقد أراد أن يلى أمور السلمين ، ليحقق نزعته ويشبع رغبته ،

وليعمل في السلمين ، فيرد الأمور إلى جاتها الأولى ، ويقم الأمر بالقسط ؛ فكانه كان يبنى بذلك أمرى الدنيا والآخرة معاً

ومهما يكن الداعي إلى طلبه الخلافة ، فإنه كان كفؤاً لها ، وقد واثقه الفرسة ، التي لبث يترقبها زمناً ، بموت يزيد وابنه معاوية الثاني ، ولم يبق في السقيانية من يقوى كاهله للقيام بأعباء الخلافة ؛ وحينئذ نرى عبد الله يهيم بالعمل الجريء ، فهو رجل الساعة ، والظروف المهيأة تنتظر منه الثوب والظهور ، وقد كان ذلك ؛ إذ دعا لنفسه على منبر الحجاز سنة ٦٤ هـ ، ولم تلبث الدعوة الجديدة أن مرت في أنحاء العالم الاسلامي ؛ فخطب له على كافة المنابر (بالمرق وخراسان والحجاز والشام) سوى بعض جهات بالشام كان هواها ما يزال أمويًا

وهنا تقوم عقبة شاقة أمام الخليفة الجديد ؛ فأهل الشام الذين لم يبايعوا قد أخذتهم نمرة المصيبة لبلدم ، فيمشى بعضهم إلى بعض ، وفيهم الرؤساء والقواد يتشاورون ويقلبون الأمر على كافة وجوهه ، حتى لا يفلت الملك من أيديهم ، ولا يخرج السلطان من بلدهم ؛ ثم يسفر اجتماعهم وتشاورهم على أن يبايعوا مروان ، وإن لم يكن سفيانيًا فإنه أموي ؛ وهو بعد أرشد القوم وأحزمهم وخير من يستند إليه هذا المنصب من أهل هذا البيت ، في مثل نيك الظروف ؛ ولكن الضحاك بن قيس ومعه جنده يمارض هذه البيعة بشدة ، يريد أن يتم الأمر لابن الزبير ، فتقع الحرب بين الفريقين بالشام ، وتلوح بشار النصر للضحاك ، فيمد مروان الداهية إلى الحيلة « كافل معاوية مع علي سابقاً » وطلب الهدنة ، ثم ينقض بمجنده على جيش عدوه بغتة ، فيشتتهم ، ويقتل قائدهم الضحاك (بمرج راهط) . وبهذه الهزيمة تنطق دعوة ابن الزبير بالشام ، وتقوم الراية المروانية تحف في ربوعه ولو أن الضحاك ساعده الحظ وانتصر في مرج راهط لتغير أمر الخلافة ، ولحييت للدولة الأموية في أول عهد لها ، وانقلبت سلسلة التاريخ الاسلامي ، فرويت على غير وجهها القدي يروى عليه اليوم

بعد هذه الموقعة أضحى للسلمين خليفان ؛ أحدهما بالحجاز ، والثاني بدمشق ، ولكن مروان تعاجله المنية بعد قليل ، فبلى الأمر من بعده ابنه عبد الملك سنة ٦٥ هـ . وكان عبد الملك حازماً

وفيه صرامة ، وله عزيمة ورأى سديد ، ولكنه مع هذا كله نراه يهيب ابن الزبير ؛ لما ثبت له في قلوب الناس من المكانة ، ولأن كثرة الأقطار الإسلامية تؤيده . فكّر عبد الملك في الأمر طويلاً ، ثم طفق يعد للحرب عدتها ، فأخذ يحشد الجنود ، ويمرضها بنفسه ، وصمم أن يحسم هذه المشكلة الخطيرة التي بينه وبين منانسه ؛ فيحسن بنا أن تتركه قليلاً يستقر في منصبه الجديد ، وينظم جيوشه ، ويرى رأيه ، لتنتظر ماذا يفعل الخليفة الآخر مع الوفود التي كانت تأتيه من أنحاء البلدان وأقصى الأمصار ، لتقرر بخلافته ، وتجدد بيعته ، وتطلب منه المطاء وتظهر له حسن استمادها لنصرته وتأييده ، ولزى في الجملة سياسته مع جنده الذين هم عماد خلافته وسند دعوته

جاءه مصعب أخوه بجماعة من أعيان أهل العراق ، بعد أن مهدها ، وملك زمامها ، وخطبه قائلاً : « لقد جئتكم بوجوه أهل العراق ورجالها ، ليؤكدوا لك البيعة ، وليأخذوا منك المطايا » فيدعوه حرصه أن يمنهم المطاء ويقول لأخيه : « إنما جئتني ببيد أهل العراق ، يستزفون بيت المال ؛ لوددت أن لي بهم صرف الدينار بالدرهم ١١ » . وكان هذا الرد طعنة نجلاء أصابت قلوب أهل العراق ، فزلزلت خلافته ولما تزل في مهدها ؛ وما فتى يجرى على هذه السياسة ، سياسة الحرص والشح بالمال ، مع التأنيب والزجر ، وعدم التشجيع بالكلمة الطيبة . ولقد بالغ في تقتيره على الجنود إنما مبالغة ، فكان أحياناً يقتصر على إطعامهم التمر ، مع التقتير في صرفه لهم ، فاذفر وأنتهم بقوله : « أكلتم تمرى ، وعصيتم أمرى » حتى قال فيه شاعرهم : ألم تر عبد الله ، والله غالب على أمره ، يسيئ الخلاف بالتمر ؟ وكان يدعوه حرصه أن يقول : ماذا عسى أن أنتفع بالدنيا ، وإنما بطني شبر في شبر ؟ ويقول للممودى : أظهر عبد الله الزهد وملازمة العباد مع الحرص على الخلافة ، وشبر بطنه . وليس من شك في أن سياسة التقتير التي نهجها هي سياسة عاجزة ، لا تنتج إلا الهزيمة وسقوط الدعوة ، وضياح الأمر ، فلا يسعنا إلا أن نقول إن هذا موطن ضعف كبير ، ما كان ليليق بطالب الخلافة ، ولا سيما إذا وجد أمامه مزاحماً قوياً ، وخصماً عنيداً كعبد الملك بن مروان ! إذ كيف يبذل الجنود

في سبيله الدماء ، ثم يضمن عليهم بالمطاء ؟ إن هي إلا الهزيمة الكبرى ! وإذن فقد جنى على عبد الله بخله ، حيث صرف عنه القلوب ، فتحوّلت الوجوه إلى الخليفة الآخر ، يجدون فيه ملكاً يكثر المطايا ، ويكرم الوفود ، ولا يعزّ الدرهم والدينار ، بل يوجد بالدنيا لتقبل عليه الدنيا ؛ أجهت قلوب الناس إلى عبد الملك ، وشخصت أبصارهم إلى برق نصاره ، فلما أنس بهذا ، ووثق بضعف عدوه من هذه الناحية ، توجه يقود جيشه الكبير إلى البصرة — وكانت لمبد الله مركز قوته ، كما كانت الحجاز موطن دعوته — فلاقى بها أخاه مصعباً ، ودارت بينهما رحا الحرب ، قُتل مصعب ، وهزم جنده ، واستولى عبد الملك على العراق حصن الدعوة الزبيرية . وفي الحق أن عبد الملك ما قتل مصعباً ، وإنما أرداه وهزم جيشه حرص أخيه على الدنيا ، حرصاً نقر منه القلوب ، فأسلمه أهل البصرة : وفروا إلى صفوف العدو ، قتل ناصره ، وراح نخية التقتير وسوء التدبير

لم يبق بعد هذا إلا أن يلتقي القران ويتصادم الجيشان بالحجاز . فلندع عبد الملك ينظم أمر العراق الذي دخل في حوزته بعد النصر ، ولنترك له فرصة يجهم فيها جيشاً آخر ، تحت إمرة قائده الجبار الحجاج بن يوسف الثقفي ، ليلقى به عبد الله في الحجاز . لنضع كل هذا جانباً ، لنشاهد موقف بني هاشم من خلافة ابن الزبير ، وما صنع هو معهم بالحجاز !

كان ابن عباس وابن الحنفية وغيرهما يملون من قبل طموح عبد الله إلى الخلافة ، وينكرون عليه في أنفسهم ، بل كانوا يستكثرون عليه ذلك ، ويرون أنه ليس أحق منهم بالأمر (وإن كان أحق من مروان وابنه) وكانوا يرون أن الذي يدفعه إلى هذا إنما هو الجشع والحرص على الظاهر الدنيوية (وقد ذكرنا حكايمة البنات الشهب عن ابن عمر وابن عباس) — فذلك لم يبايعوه ، خفق عليهم ، وضيق خناقهم ، حتى إنه فكر في الخلاص منهم ، فحبسهم في شعب عارم ، وجمع حولهم حطباً كثيراً ، وهدم بالأحراق ، وكاد يقضى عليهم ؛ ويقال إنه ما فعل هنا إلا خوفاً من تفرق الكلمة ، واختلاف الناس ، كما فعل عمر مع علي لما تأخر عن مبايعة أبي بكر ، فقد هدده كثيراً ، ولقد لجأ ابن الزبير إلى النقي عقاباً لمن تخلف عن بيعته ،

السؤالُ عني ، فلا يقولنَّ أحدُكم أين عبدُ الله . . . ألا من كان سائلاً عني فاني في الرعيْل الأول ، احموا على بركة الله . . » وبعد أن بثَّ الحمية في قلوب من حوله ، وألهمهم حماسة ، حمل على عدوه بسيفين صارمين ، يضرب بهما معاً ، فيهزم الفاخلين عليه من هذا الباب ، ثم لا يلبث أن يشكار الهاجون على الباب الآخر ، فيصمد لهم ، حتى يولوا الأدبار ، فيوقع بهم ، وهو يقول : « ياله من نصر ، لو كان له رجال ١١ »

لو كان قرني واحداً أردبته أوردته الموت وقد ذكيتُه ! ولم يزل يضربُ القوم بصارميه ويشتت شملهم ، حتى قذف بحجره ضخماً أصابه بين عينيه نحرٌ صريماً ، وتكاثر الجندُ على البطل المفرج يديه الحرام ، في المسجد الحرام ، واحتزوا رأسه ولم يرعوا فيه ديناً ولا رَحماً

وكان مصرع البطل الشهيد سنة ٧٣ هـ بعد أن أدرك وطره وسلم الناس عليه بالخلافة زهاء تسع سنوات ، كانت كلها خطباً واستعداداً ، وحرباً وجهاداً

وبعد فهذا بطل سينيد ، وخليفة شهيد ، نرى في طلبه الخلافة ، وتعرض نفسه للمخاطر ، إبان تلك الظروف المصيبة حدباء على المسلمين ، وأتقن أن يساموا الحسف من بني أمية ، ونوعاً من التضحية في سبيل الجماعة ، كما نطع في نفسه زعنة سامية ، وشرفاً وشجاعة ، لا نجدُها في كثير من رجالات عصره ، فلقد كان هو رجل الوقت بلا منازع ، لم يتوقع بنو أمية الثوب الظافر عليهم من غيره ؛ ولقد صدقت فيه فراسة معاوية

والحق أن خلال عبد الله منذ نشأته كانت ترشحه وتمله للخلافة ، ولكن لأية خلافة ؟ للخلافة المتشقة الحريصة على أموال المسلمين أن تنفق في غير وجهها ، لتلك الخلافة الترفه التي تنفخ في النسيم ، وتنمُرُها أبهة للكل ومظاهرُ السلطان ؛ ولو لم يرُنْ عبدُ الله بطرفه إلى هذا المركز السامى ، لكان ذلك غريباً عن طبعه ، مناقضاً لنشأته ، وعلومته وطموحه ؛ فلنسجل له ثورته العنيفة القاسية على من طلبوا الملك والدنيا باسم الخلافة الإسلامية العتيدة

محمد مهدي عبد الرحمن

(بيت عمر)

فأخرج محمد بن الحنفية من مكة والدينة ، ونفى ابن عباس إلى الطائف ، وبهذا العمل المدائن مع بني هاشم ، واضطهادهم ، ضم سيلاً جديداً قوياً إلى أسباب خذلانه ، وإفلات الأمر من يده ، فكان بذلك مجانباً الحزم والسليمة الرشيدة

ويسيرُ الحجاج ذلك القائدُ العتيدُ إلى الحجاز ، فيستولى بمدنناوشات قليلة على جبل أبي قبيس الذي يُطلُّ على مكة ثم يحاصرُ البكة الحرام ، فتتمطل مشاعرُ الحج ، حتى إنه هو وجنوده وقفوا بمرقات ولم يطوفوا بالبيت ذلك العام ، وطاف عبد الله ومن معه بالبيت ولم يقفوا بمرقات ؛ وطال الحصار حتى سئم أهل مكة ؛ ويقول الطبري إن الحجاج حصره ثمانية شهور ، ولم تزل الحرب بينهما حتى تفرق عنه عامة أصحابه ، وخرج أهل مكة إلى الحجاج بأمان ، ولم يصبر مع ابن الزبير سوى نفرٍ قليل ممن يابصوه على الموت دونه

وفي يوم عصيب ، من أيام الحصار الرهيب ، يدخل عبد الله على أمه أسماء ، فيدور بينه وبينها حوار رائع ، يمرض عليها حاله وما آل إليه أمرُ أصحابه ، ويطلب مشورتها ، فتبذل له النصيحة ، وتحثه على الاستمسك بما ولّاه المسلمون ، وأن ينافع عن حقه إلى آخر قطرة من دمه ، وألا يقبل من عدوه خطه يصحبها أقبل ، وتقول له في عبارة حماسية مؤثرة : « والله يا بني لضربة سيف في عزمي ، خيرٌ من ضربة سوط في مذلتي » وتلبيه هذه النصيحة ، وتشجيعه ، فيخرج إلى العدو في قلة من صحبه ، وفي كثير من جنديه وإيمان به ، وقوة عزمه ؛ وحينئذ تقرأ في جهاده واستبساله أروع صفحة للبطولة الكريمة ، والفتاح عن الحق العظيم ، صفحة يتجلى فيها البلاء الحسن ، والصبر الجليل والاعتماد على قوة اليقين ، مع ضعف المدة والسدد ، ووفرة العدو وإحاطته ، وتمكنه من قاصية الموقف . ملك الحجاج عليه أبواب المسجد الحرام ، وحاصره فيه ، فبات يصلي ليلته ، ثم أغنى قليلاً ، وقام يصلي الفجر ، ولما انقضى من صلاته أخذ يستعد للزوال ليرى آخرتهم في كنفاته ، وليموت بعده شهيداً الرقام لبدنه ، ثم قال لمن معه : « يا آل الزبير ! لو رطبتم لي نفساً عن أنفسكم كُنَّا أهل بيت من العرب ! أما بعد فلا يرعكم وقع السيوف . . . غصوا الأبصار عن البارقة ، ولا يلبيسكم

نحو الفجر للأستاذ عبد الرحمن شكرى

للخدمة :
إن الذى يأمل للانسانية جراً تتجلب فيه ظلمة الغيم والصر ،
يرى في فجر كل نهار رسماً له ووعداً به ؛ فيتطل بهذا الرمز
وينظر إنجاز الوعد أكمل أن النومة التى يحدث فيها للانسانية
كايوس من الأضغان والأذى والتنايد والكيد ، والاستهتار
في البيت بالحق ، يكون فيها أيضاً تبيان لحصاتها الوضعية يدركها
من طريق سنة النوم فتستيقظ في خلق الحق والخير (التأظم)

أرقت فطال الليل أم طال لي عمري
كأنني في لجج من الليل غارق
كأنني غريب من حراك لوانحي
كأن غصون الدوح في حندس الدجا
كأن النجوم الثنائيات ترهبت
أو الفل منهدوماً بحقل ينفسج
أو أن نقرباً في جدار زبرجد
أقلب طرفي بينها متفهماً
كأن الدجا دبر به البدر راهب
كأن صقيماً قد كسا الأرض نوره
كأن فراشاً أيضاً مدَّ نوره
أما يذهل الراؤون من سحر ضوه

وقد تحسب الأحلام تسرى وما تسرى
وإن تلك أحلام فأوهام خاشع
أبحلم هذا الدوح في سحر ضوه
كأن خفيف الدوح أضفأت حالم
أدور بعيني لا أرى غير ما كن
وإن نشاط القوم للهوى والهوى
ألا ليت نسياناً كذا النوم ساقياً
لتنهلم عن كل شر وقتة
خواطر آمال أمتلى بها الدجا
فلما تقضى الليل وانجباب جنحه

تشوب أخضرارَ الروض صفرةً ساطع

من الضوء مثل التبيد في حلال خضر
كما تينع الأثمار شاب أخضرارها
كان نبات الزهر من نبت جنة
أظل وطرفي في مدى الأفق ذاهل
وزنوني إلى الفجر من خلف ظلمة
كأن مماتاً في الدجا أهلك الدنيا
كأن كيان الكون يخفق ثانياً
تخال تبشير الصباح أزاهرا
فيختلط الزهران حسناً ومنظراً

ويزداد نظراً الحسن من مشهد النظر
تحدثت أنباء السماء بشرق
تبادها منها محاسن جنة
تغض ختام النفس عن كل ذكره
تذكرنا الآمال والحب والصبي
كذلك يبدو منظر الحسن ذكره
وتستيقظ الأرض التوهم إذا حنا الله
كما استيقظ الطرف المقمض بعدما
تمحن اليه النفس من بعد ظلمة
يرى الصبح تجلو النهر كالقن سيفه
أطل بأفكارى على النهر مثلاً
تصب عليه الشمس رقرق عسجد
ترى تارة في متنه الماء راجعاً
وتحسب أن النهر يشمر بالندي
ترى النهر مثل العين سحر أوبهجة
يبوح بسر الحسن لون مجدد
وأروعه ما كان منه فجاءة
وليس رواء الكون في الصيف وحده
جلال يريح النفس من بعد رونق
على أن ذكرى الصيف فيه جلية

ففي النهر من ذكرى وفي الروض من ذكر

المثل الأعلى في السبيل

مياه عبقريّة مثاليّة

اللحن الذي لم يتم

Symphonie inachevée

للأستاذ خليل هندأوى

— ١ —

قد يكون الاقبال على هذا القلم الناطق بالألمانية ضعيفاً ، لأن
خبره لم يترك مجالاً للعادة تبيت بالفن ، والمصلحة تغلب على
المصلحة ، وللمبت تطو يداه على « مثل أعلى » ألفت عبقريّة —
أقامت في الأرض عمرها — بمداد روحها ودماء قلبها . على أن
هذه الحياة قد فستت ، ولم يبق خالصاً ظاهرها ولا باطنها ،
فالقوم قد لجوا من صراع المادة للمستحوذة عليهم ، وهم الذين
تركوا لها مجال التسيطر ، تفر المادة منهم ، وهم إليها يفرون ،
وقد آل بهم هذا الصراع الدائم إلى أن يعموا عن جوهر الحياة
الذي وضعته الحياة على أبنائها يوم كانت ، فهم من صراع إلى
صراع ، ومن نزاع إلى نزاع ، لا تراح لهم جنوب ولا تستقر
مضاجع . أحلامهم طامحة بالمرآك كيقظانهم ، وليت شعري لم
هذا المرآك ، وليت فيه هذا النزوع إلى محبة الحياة ، فهم
مضطرون إلى تهديّة أعصابهم المجنونة وقلوبهم الثائرة بالهم
والهيب ، يطلبون القوم متى انتهوا من جدهم ، ويتوخون البث
متى خرجوا من دائرة عملهم . هو كثير وجد كثير تذوب بينهما

وقد يحلم الخجورم بالسر والهي كذلك حلم الأرض بالصيف واليسر
قلما تغضى الليل يحدو لواعجى

وذكري طيور الصيف تهزج في صدى

أخذت نصيباً من جدى الفجر وافرأ

فنهت آلامى وأرخت من صبرى

وأملت للدنيا صباحاً مؤجلاً سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر

فكل صباح رضى ومثاله ووعد به يحدو الى الزمن النضر

نسر بشماه وإن لم تكن لنا وننشده فيما يكون من الدهر

عبد الرحمن شكرى

٥٠٢٠

حياة شغافة في سبيل الحياة البهيمية ! وقد شمرت السبيل بتمب
الانسانية وأحست بضناها ، فأجبت أن تعمقها في جهادها ،
وتربها ومضات تلعب وتخبو في جنبات « الشاشة البيضاء » .
فهي تتشبث بالألحان والحسان ومظاهر الخيال القوي لا ينطبق
على حقيقة ، لتفرّج عن هذه الانسانية النكوبة ، ولكنه دواء
من ينقش الشوك بشوك ، ويُنير للشمعة سبيلها بذوبها . لأن
مثل هذه الألحان المضطربة والنجوم الساطعة الخالية سرعان ما تفقد
تأثيرها لأنها لم تصب هدفاً معلوماً ولم تطرق نهجاً مرسوماً

قد تكون السينما للأدب حليفة وقد تكون عدوة ، لأنها
تريد أن تهضم « الأدب » وتبلغ زاد العقل لتحمله للنظر عن
طريق العين ، فهي مساعدة للأدب على خلق « المثل الأعلى » ؛
وإعانة في الأرواح مختلف الأشواق والحنين إلى ربوع « المثل
الأعلى » ، ولكن من المخرجين من لا يبالى بهذا المثل ولا يسمع
صوته ، لأنه يريد أن يقبض على عيون الناس وجيوبهم ، وهذا
هو الأديب التاجر ، ومنهم من يؤمن بهذا المثل ، ولكنه لا يجد
الفرصة سانحة لمثل هذا النوع . فهو يلقى الومضة إثر الومضة
لأنه لا يقدر أن يتبرأ من كل ما يبحش في صدره ، ولكن أكثر
بضاعته بضاعة يرضى بها رؤسائه . ورؤساؤه يعرضونها ليكسبوا
بها جنوداً وتقوداً ، وهذا هو البائس المدارى ، ومنهم من بلغ
إيمانه بالمثل الأعلى مبلغاً عظيماً ، يخرج من الروايات ما تؤمن به
روحه ، ويخلق فيها شيئاً جديداً متديناً لأنه يعمل بقلبه لا بيده ،
وهذا هو من يشفق على هذه الانسانية ، ويريد أن يحملها على
أجنحة صوره وألحانه — ولو ساعة — إلى عالم المثل الأعلى ؛
يربها ما هنالك من نور طافح وأمل خائق . والجالس إلى أفلام
هذا المخرج ليجد نفسه وقد انساخت عنه بغير شعور منه إلى
عالم شعري بعيد ، ما كان حامله إليه إلا فكرة سامية نقلها أشعة
العين إلى القلب فهام واستهيم . . . إن مثل هذا المخرج يعطى
أكثر مما يأخذ ، ويهيم من الناس قلوبهم قبل جيوبهم

مرت بي هذه الخطرات وازاحمت في نفسى يوم رنت عيناي
وخشع قلبى لهذا (اللحن القوي لم يتم) أراء للمرة الثانية ، وقد
تجددت روى عني لتتساق في هذا اللحن ماشاء لها التساقى

— ٢ —

هذا اللحن أو هذا (الفيلم) ترجمة دقيقة لفصل من حياة
« شوبر » الموسيقى النمأوى القوي لم تنقص عليه الحياة أجله .

(١٧٩٧ - ١٨٢٨) لكنه فصل مشحون بكل ما يمثله فكر عن فنان . وسأعرض عليك هذا الفصل لتلمس فيه هذا المثل الأعلى الذى نبحث الخرج فى إظهاره . وإنما هو حياة فنان يشق طريقه إلى المجد بأوتار قيثارته وأنامل «يانه» البيضاء ، وتاريخ صراع هذا المبقرى المصادقات والأقدار التى انتصر عليها

نحن الآن فى منزل «رهون» تجتمع فيه البذلة الثمينة بجوار تمثال «نابوليون» والقيثارة الجريح بقرب الحنون فى قفصه «رهين المحبين» تتلهم هذه الأشياء فتاة جميلة ، لامة البتة ، لا تقدر قيمة الأشياء إلا بحسب قاعة عندها

يطال على النافذة فتى تكاد تيبس عضلات وجهه التصلب ، على عينيه نظارتان ، عذ قيثارته التى طالما ملأت لياليه ألحاناً ، وأشبعت وحدته أماناً ، يقدمها بيد رتمشة ليرهنها ، يبعد عن الرهن شيئاً فراجع الفتاة الجالسة فتجيبه : هذا هو الثمن المحدود ولكن صوتاً يهيب بها فى داخلها ، وإنما هو صوت الحنان على الفن الذى يسبح . . . فتريد الثمن وتدعو الله أن يذهل والدها عما زادت ، ليتسنى لصاحب القيثارة أن ينتفع بيد قيثارته . فيأخذ الثمن ويحميه بعد خروجه فيجده أكثر مما قالت ، فيعود بقلبه البسيط ، فيعثر بالفتاة خارجة ويخبره أنها شذت معه إكراماً لفنه ؛ وإذ يسمع - شوير - ألحاناً تاتى من بعيد فينطلق وراءها وهى تقودها إليه عاطفة غريبة ، فتسأله سر ابتهاجه بهذه الألحان ، فينبئها أنها ألحانه يرددها الصبايا الحائيات على الماء

- إن ألحانك ترددها «فينا» ؟

- أجل ! ترددها «فينا»

- أنت سعيد إذا يا شوير ! ولا بد أنك غنى

- أما الغنى فلا

- ولماذا تشاير إذن على التلحين ؟

- وما يكون عمل شوير فى الوجود إذا انصرف عن التلحين ؟

- وهذه الأبيات الرقيقة التى أسمعاها أمى من «جيتة» ؟

- لا ! . ومن هو جيتة ؟ لمنى لم أسمع به قبل اليوم

- إنها من نظم صديق «مولر»

- عجيب ، ألا تعرف «جيتة» ؟

وهنا يعودان على آثارهما فتنب إلى غرفتها وتقذف له على طريقه بديوان (لجيتة) فيأخذ الكتاب ، ويلتهم ما فى الكتاب ويبتلو ذاها غافلاً ؟ . يخطر فى الشوارع وعينه شاخصتان فى

الكتاب ، ويدخل قاعة الدرس وطلابه فى حرب يملأها بعضهم على بعض ، سلاحها الأوراق والكتب وإهراق السداد ! وقد تصيب دواة قبته فتطير عن رأسه فلا يشعر : ولكنه لا يكاد يستقر فى مكانه حتى تهدأ الجلبة وتقر الحركة ، فيمجهه هنا السكون ويشكر طلابه عليه ، فيبدأ درس الحساب ويكتب على اللوح الأسود بادئاً بمجدول الضرب ، ولكن هذه اليد تتحرك بغير وعى وتنتقل بغير إرادة . لأن القلب الموسيقى الذى أطل عليه

من وراء «جيتة» قد استولى عليه ، فيده تسطر وقلبه ياجن ، وما هى إلا لحظة حتى كان الطلاب من وراءه يرددون اللحن الذى

سطره ! وإذا بدرس الحساب يتحول إلى درس موسيقى ! فيسمع الرئيس الألحان شائعة فى الفتاة ، فيطرق غرفة «شوير» فيجده لاهياً وطلابه بهذه الأغنية ، فيطلب إليه أن يهرع إلى مقابلته ، ولكن هذه المقابلة التى يتخيلها الناظر عثور جد وسوء

طالع ، قد هيأت لشوير أن يقابل «مدير الأوبرا» فى «فينا»

المعجب براعته ، وهو ينتظره فى بهو الرئيس يحمل إليه دعوة إلى

منزل الكونتس «دى رنسى» ليعزف فى إحدى مهراتها

الموسيقية الحافلة التى تقيمها كل خميس وتجعل من منزلها ملهى

أرباب الفن وأنصاره . وجدير بمثل هذه المقابلة أن تفتح أمام

«شوير» مستقبلاً زاهياً مضموناً . ولكن أنى له أن يشقى هذه

الحفلة وليس عنده رداؤها . وقد طرق بيت الرهون فردة صاحبه

خائباً ، لأنه لا يملك ما يملك به رهينة ، ولكن الفتاة الهاتمة

بقفه أعادت إليه رداؤه وقيمته لتحقق له ظفوه فى هذه الليلة

كان بهو «الكونتس» يمج بالزائرين والآثرات ممن سما

بأرواحهم الفن والموسيقى ؛ ولجأة دخل «شوير» منتفخ الرداء

ساطع الوجه ، يلمس غده بيده . ولكن نشوة السرور قد أذهلت

عن أن ينزع (علامة الرهن) عن ظهر الرداء . فر وعيون القوم رانية

إليه ، تتفاسر عليه . فقبل يد الكونتس وحطم بخيط «العلامة»

تمثالاً عزيزاً عليه ، ولكن الكونتس لم ترد إلا ترحيماً به

جاء دور «شوير» ومرت أنامله على «البيان» يعزف

أنشودة أبدعها لمثل هذه الساعة . وأودعها كل ما يجتاج فى

صدره من أمانى وأشجان . فترى القوم سكارى ومأمم بسكارى !

فتدخل - خلال ذلك - الكونتة استركاز الفتاة الحسناء

وهى متأخرة ، فتأخذ مقعدها وتصفى بروحها المرحية إلى هذه

النفات ، فتسأل فتاتها فيجيب همساً : أنه «شوير» فلا تفهم .

كتب عليها القدر ألا تخطط طريقها إلا بدماء القلب الجريح ،
والشقاء الدائم ، فليمنش « شوير » على طريق البقية ...

— ٣ —

طلب أحد الأمراء الموسرين في « هونفريا » إلى شوير أن
يقدم عليه ليعلم فتاتيه الموسيقى ، فارتاح لهذا الطلب وأيقن أن
الأمل طفق بيسم له ، فودع « ايمى » ووعداها بأن يكاتبها وسار
وراء الأمل الجديد

دخل المنزل فاستقبله الوالد بابنتيه « ماريا وكارولين » . نظر
شوير في وجه « كارولين » فأدرك أن هذا الوجه هو وجه
الساخرة ، فأربد وجهه وتقلصت شفتاه . ولكنه هدأ نفسه
وكظم غيظه . وغادر الوالد المكان ، وعدت وراءه « ماريا »
لأنها لا رغبة لها في الموسيقى ، وخلا له ولها المكان
قالت كارولين بأسمة :

— أريد أن أعرفك ، لأنني جعلتُ درس الموسيقى سيباً !

— أودين أن تمخري منى أيضاً ؟

— لا يا شوير ! أريد منك أن تطلق هذا البيان

فدناشوير من البيان وأغلقه بهدوء ، فضحكت كارولين وقالت :

— في امكان الانسان أن يفلقه بدون ضوضاء ! قد شرمت

بخطيئتي العظمى ، واني لأرجو أن تصفح عني ...

— قد صفحتُ !

— إذا سنبداً غداً ...

وفي اليوم الثاني كان « شوير » يلقى على تعليمته قواعد في
الموسيقى وفي الإيقاع ، ويبدى لها أن الإيقاع هو حياة الموسيقى
وأصل توازن ألحانها ؛ ويعرض عليها مقطوعة صغيرة له تتلوها
بصوت عال ، فتتلو السطر الأول والثاني ثم يتعالى صوتها شادية
مرغمة يتلاتى أمام نفاثها ونبراتهما عزف البيان ولحن القيثارة ،
فيذهل شوير وأى ذهول ! ويتصاغر أمام جلال هذا اللحن
المتناسق ؛ حتى انتهت من تلاوتها وجاءت على هذه الكلمة
« وهى مقطوعة مهداة إلى الفتاة ايمى » فنارت في نفسها غيرة
عميقة ، لأنها كانت تشعر بأن هذا الفنان يجب أن يكون لها
وحدها ، فظلمت إليه أن يقدم لها في المرة الثانية من أغانيه
مالاتشركا فيها امرأة ! ولتكن تلك الأغنية التي لم تكمل ...
ولكن هذه الأغنية ظلت غير تامة لأنه لم يستطع أن يتمها

قالت له كارولين في إحدى خلواتها :

فيكتب على صفحة مرآتها بعد ذر « البودرة » أحرف
« شوير » فلا تفهم ... وتنفع على اسم فيطير . ولكن
أوضاع جلوس شوير على البيان تهيب بها إلى الضحك فتملك
نفسها فلا تقدر ، فترسلها ضحكات عالية تنال من عزة « شوير »
فيرمقها شزراً ، ويطلق البيان بعنف ، ويهب من مقدمه لا يملك
نفسه المهتاجة ، فيدركه « مدير الأوبرا » فيجيبه بلاء وأنفقة :

— أنا لست ممن يمزفون وهم يضحكون !

وانطلق وقد ترك في المنزل ، زوبعة ، وصاحبة المنزل تقول
للفتاة « ومما يؤسف له أن المقطوعة لا تبعث على الضحك »

تلك عزة الفن دعتة فأجلب ، وهو يقدر أنه قاتل مستقبله ،
وداع البؤس إلى ساحته ، ولكن ما هم بمستقبله وبشفاه إذا كان
الفن يحيا في منزله مهاناً وبرضى بهوانه ؟ أليس هذا المثل يضرب
لكل فنان معنى العزة ويمث فيه الكبرياء ؟

خرج « شوير » دأى القلب ، ولكنه عنيف الثورة شديد
النقمة على هذه العادة التي حالت بينه وبين أعمام لحنه ... آب
إلى غرفته بأمانيه المهزومة كالتقاء المنكسر يمود بقول جيبه
وأوسمته القديمة ، فالتى غادته الأولى في انتظاره ، وهى لم تكن
لتحب أن تراه مقطباً طابساً ، جلس إلى البيان بماود ذلك اللحن
الطائر ، فلا يكاد يشرف على المهوى القى تماثل فيه ضحكة
الساخرة ، حتى يتعمل أن ضحكها تملأ جو غرفته ، فيهب مذعوراً
يسد أذنيه ، وكأن يداً سحرية تحول بينه وبين الانتقال إلى
المهوى الثاني . وبعد محاولة غير مجدية غادر البيان والبيان يضحك ،
وجدران الغرفة تضحك ، وهى في قرارة ضميره تضحك ...

كلفه هذا الحادث كثيراً ، فقد أخرجه من المدرسة ،
وحرموه الخبز الذى يأكله ، فألحف اللاتون في الطلب ، ولج
الأصدقاء في الهرب . وشفعت له « فتاته ايمى » عند « مدير
الأوبرا » ولكن هذا قد قُذ قلبه من جاد !

— كن لطيفاً معه

— أنا لستُ بلطيف

— لا تهجر شوير !

— إنه يستحق

— ولكن اذكر أن « فينا » تترنم بأغانيه ، فإن أغانيك ؟

يمثل هذه البساطة وهذه الحدة كانت تجادل « ايمى »

مدير الأوبرا لاستماته إلى معاضدة « شوير » ، ولكن البقية

فهرعت إليه بدون إرادة ولا عزيمة وفي لحظة حضورها وردت عليه بطاقة من القصر تأمره بالحضور العاجل . فما قابل « إيمى » إلا ليودعها وتودعه

— إيمى اكونى سعيدة إننى مسافر ، سوف أبحث إليك بأنبأى انطلق « شوير » ولا يعرف ما كُتب له . فشاهد في القرية حالة غير معهودة ؛ أجراس نطق ، وثياب بيضاء ترف . وأظن تتعالى . إنه عرس « كارولين » أجثت يا شوير لتودع كارولين ! لم يكن صاحب البطاقة الرسالة إلا « ماريا » أخت « كارولين » دعت « شوير » ليحضر حفلة زفاف أختها . وليصفح عنها لأنها كُفرت عن وزرها بالبكاء الطويل ، ولكنها أذعنت لوالدها مضطرة غير غتارة وقد وقف « شوير » بين الجموع يشهد مرورها أمامه

وقفت « ماريا » فجأة بين جموع المهنئين في بهو القصر ، تملن أن « شوير » يريد أن يهين المروسين « فدخل شوير وقد رنت الميون إليه ، ومشى حتى بلغ موقف « كارولين » وقال لها : « يا سيدتى ! هل تفضلين بأن أقدم تمة اللحن الذى لم يتم تقدمه لك في يوم عرسك ؟ » واختلف إلى البيان يردد اللحن الأول « وكارولين » بين الجوع تنتفض طورا وتحتلج نارة تحت تأثير الذكريات الهافية حولها . تفيض على قلبها مرارة ، وعلى محجرها تطفح دمعان . وما كاد ينتقل « شوير » إلى تمة للقطع ، وقد اختلفت النغمة ، وامتزج الجلال بالجمال ، ونطقت العاطفة ، وغلب القلب على الأنامل ، حتى سقطت « كارولين » مستخرطة في البكاء في الموقع الذى قاطمت شوير بضحكها . قانفض الجمع وأخذوا المريضة . وشوير مُسمّر في مكانه لا يترجح . وبعد برهة عاد إليه زوجها يقول له : « إنها تحسنت قليلا وتود أن تقابلك » . عادت كارولين ووجهها مقنع بكل مارسمت على وجهها الحياة منذ طفولتها حتى الساعة . فالأمال مجاورة للآلام . واليأس مؤتلف مع القنوط : إنه وجه حياة كاملة — شوير ! هذه مقطوعتك أرسلها إلى

— ولله ! إنها مكتوبة للجميع

— عش سعيداً يا شوير ! ولا تحزن . إنك تملك شيئاً هو اسمى من كل شيء هو الفن الذى يعطيك الخلود طفرت من عينها دمة ، وانصرفت رأكضة لأنها لا تستطيع أن تقف أمام هذه السحابة الجارفة التى يسوقها فن عميق سام جارف

— سمعت بأنك تختلط بماننا في المزرعة في جلسات طربهم وائى لأرباً بأستاذى أن ينشئ هذه التجامع الساقطة

ولكن شوير كان يستوحى الفن حينما كان ، ويستقد أن الفن يسكن في الأكواخ ، وفي الجماعات المنحطة ، وفي التراب . وظل يغشاها كعادته ، حتى فجأته يوماً في مجلس لمؤلاء « النجربين » الذين اتخذوا الحياة عزفاً وطرباً ، وقذفوا بهمومها من وراء ظهورهم . فجأته وهي ترتدى رداء « النجريات » وعلى وجهها تطفو بهجتين وسرورهن . فرقست حتى بات المكان كله لا يتسع إلا لقدميها . رقست حتى أعيت ، ودنت منه تنشد مقطوعة رقيقة تدعو إلى الاستسلام الذى تولد النبطة الكثيرة : « قل انك تحبني ؛ قل بدون انقطاع

قل انك تحبني قليلاً . . .

كلماتك هذه تبعث النبطة في نفسى ، والراحة في قلبي عيناك هما السبيل الجميل حيث يتواري حلمي

قل انك تحبني ، واكتب إذا وجب الكذب . . .

قل ذلك . . . لأنك — إذا سكت — تسلمني إلى الموت » وجدير بمثل هذه الأغنية الرقيقة أن تذهلها عن نفسها ، وأن تغيب أستاذها عن وعيه . فبلم يدها ، والزوبمة لا يزال مزعماً بين الأغصان . فنادرت المكان راكضة بين المروج الذهبية التى هى قبلة الشاق ، ومرمى أصحاب الوحدة ، فتبعها ليرجع إليها تقابها — قى يا كارولين لقد نسيت تقابك : ما عسى يقولون في القصر اذا عرفوا ؟ لماذا جئت ؟

— ألا تعرف أنت حتى الآن . . . عانقنى يا شوير !

وهنا ضمتها قبلة عميقة لم تشهدها إلا السماء . ولم نسمع حمماً إلا الأزهار والأعشاب أذهلتها عن تقابها الذى سقط على الأرض فمادت بنير تقاب

— ٤ —

أدرك الأمر والدها ، ورأى في فتاه ميلاً إليه قد ينتهى بالزواج . فأحب أن يحول بينهما ، فصرف « شوير » صرفاً أدياً ليمود إلى عزله الأولى . وشوير في كل غيبته لم يذكر « إيمى » بكتاب . لأن كفة « كارولين » رجحت على كفتها . فلم تستقبله « إيمى » ولكنها سمعت أنه يكاد يمدو مجنوناً . وهو في كل يوم يرتقب كتاباً من « كارولين » وها قد دب اليأس في نفسه بعد انتظار ثلاثة أشهر ، وها قد أشفقت « إيمى » عليه

ولدى ! إن جبينك ليسطع نوراً . . .
شكراً لك أيتها الأم الآسفة
أنتِ التي أتقنتِ ولدى
سلام عليكِ يا مريم . . .

هي مقطوعة تناجى بها أم تكلّى « مريم » وتبنيها شكواها .
وقد برح بها الحزن وأمضها الألم . والآن تفلق قلبها المفتوح
وتطوى ألها المنشور ، ونمى راحة نفسية ، تصافح الألم فلا
تراه شائكاً ، بل هي الآن أوسع صدرأ للألم لأنه لا يعانى على
إيمانها . وقد تكون هذه الفكرة فكرة فنان شاعر يناجى مثله
الأعلى الذى وجد فيه أمه الأسى . فهو يحمل نفسه المجرحة
يريد أن يلقى لها منزلاً تنزل فيه ، فيجد الأبواب كلها مسدودة ،
وما هو ذا الآن على طريق المثل الأعلى الذى سلخه عن الوجود
قد تلاشى الحب فى « شوير » وانطفأت جفونه للثمة ،
وابتملت ذكرياته المذبة . لا لأن شوير يحب كاذب يسهل عليه
الاتصال والانفصال . ولكن شوير قلبه قلب فنان ، وقلب الفنان
كبير ، قد ارتسمت - على قلبه - كل أشواقه الماضية ، وآلامه
الغائرة وسرت معه لتؤلف « ذلك للثل الأعلى » بفنه الذى
- كما قالت كارولين - إنه وحده يعطيه الخلود

وقد يتساءل القارىء : أما وقد عاد شوير خائباً ، فكيف
التقت به « إيمى » فتانته الأولى ؟ بقيت نقطة غامضة لم يعالجها
المخرج ليترك المثل الأعلى منتصراً على كل شيء

- ٥ -

قد لا تروق هذه النتيجة للبعض ، لأنهم يتلقونها بمقولهم ،
وعقولهم لا يرضيها شيء من غذاء الماطقة ، ولا تقبل إلا بما فيه
غذاء لمنطقها ، ولا ينفذ منطقها إلا عالم الواقع اللوس . . .
ولكن قاتهم أن هذا العالم الواقى قد بدأت تطفو عليه عوامل
الاضمحلال لأنهم قتلوا فيه كل مثل ، سواء ذلك المثل الذى
يوجيه الفن أو يوجيه الشمر

لا يحمل الناس من هذه الوعدة التى نزلوا فيها وهذه المادية
التي استغرقوا فيها إلا الإيمان بالمثل الأعلى فهل نرى - السينا -
تقف يوماً أمام الفن والشعر جنباً لجنب ، لتؤدى ما عاينها من
التبشير بهذا « المثل الأعلى » ؟

مهنيل فندارى

عاد « شوير » إلى لحنه ، فأبقى ما عزفه ، ومزق تمة
اللحن ، وكتب حول ما مزقه : « ليكون دليلاً على حبي للذى
لا ينتهى ، جعلته لحناً لا ينتهى » . وخرج « شوير » يسلك
الطريق الذى أبصر أحلامه الوائبة ، والآن يصير نفسه المكتنبة ؛
وما زال يقنف به السير حتى وقف على تمثال « مريم المنراء »
وهناك تمازج كل ما فيه من عوامل متضادة ، من يأس ورجاء .
من غبطة وكآبة ، وفن ومثل اسى ، لتؤلف هذه العوامل
« أنشوده السلام الملائكى » التى خلدت شوير فى عالم الموسيقى ..

« السلام الملائكى »^(١)

سلام عليك يا مريم ! يا ملكة السماء
إليك ترتفع صلاتى ، وأرى المطف فى عينيك
وفيك أيتها الطاهرة أضع رجائى

ولدى كان مخفف يؤسى ، ومعمزى فاقنى
إنه تالم ، وا أسفاه ، إنه قضى
افهمى دموعى أنت ، يا من كنت أما
وأعيدى إلى طفلى البائس . . .

سلام عليك يا مريم ! إن ولدى جميل
كنت به مختالة محبة . . .

باركى سريره الصغير . . .

إنه كان خيرى ، بل خيرى الوحيد

إذا أصابى الله فى غضبه
فاعطنى أنت على الصغير البرى
واستجيبى لى . . . لأننى أم
تطلب اللوت فى سبيل ولها

سلام عليك يا مريم
أرى طفلى ولد ثانية بالصلاة
كأنه الزهرة الماطرة ، والنحة الجلية ،
والجمال الجذاب ، والسر المقدس ،
انظرى لى ! أنت يا موضع أملى !

هي أغنية - كما يضع - تناجى بها أم تكلّى « مريم المنراء »
وهي معبورة بين الألمان المكتنبة

٩ - شاعرنا العالمي

أبو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعدي

زهدك وتكلم بالشعر : كان أبو العتاهية مع زهد لا يترك التكسب

بشعره ، وإذا رجعنا إلى حاله في ذلك وجدناه لم ينقطع عن بيع المباس وقبول جوائزهم من عهد المهدي الذي ابتداء اتصاله بهم فيه ، إلى عهد المأمون الذي انتهت فيه حياته ، وقد طعن عليه بذلك في زهدك كثير من منافسيه في الشعر وغيره ، وحملوا ذلك منه على الرياء والمخادعة ، وقد أشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلم الخمار :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال
فقال المأمون : إن الحرص لفسد الدين والروءة ، والله

ما عرفت من رجل قط حرصاً ولا شرهاً فرأيت فيه مصطنعاً .

فبلغ ذلك سلماً فقال : ويلي على الخنث الجراد الزديق ، جمع الأموال وكثرها ، وعبأ البدر في بيته ، ثم زهد سراة وثقاتها ، فأخذ يهتف بي إذا تصدبت للطلب . واجتمع أبو العتاهية مع جماعة عند قسم بن جعفر بن سليمان فأخذ ينشد في الزهد ، فطلب قثم الجمار فأحضر اليه وأبو العتاهية ينشده ، فأنشأ الجمار يقول :

ما أقبح الزهد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد

لو كانت في زهده صادقاً أنحى وأمسى بيته المسجد

يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا يتنفد

والرزق مقسوم على من ترى يتاله الأبيض والأسود

فالتفت أبو العتاهية إليه فقال من هذا ؟ قالوا الجمار ، وهو

ابن أخت سلم الخمار ، اقتص نخاله منك ، فأقبل عليه وقال له :

يا ابن أخي لم أذهب حيث ظننت ولا ظن خالك ولا أردت أن

أهتف به ، وإنما خاطبته كما يخاطب الرجل سديقه ، فأنشأ ينفذ

لكما ، ثم قام

وحدث جبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه قال : كنت

في مجلس خزيمة جري حديث ما يسفك من الدماء ، فقال والله

مالنا عند الله عذر ولا حجة إلا رجاء عفو ومفقرته ، ولولا عن

السلطان وكراهة القلة ، وأن أصير بمد الرأسة سوقاً وقابلاً بمد

ما كنت متبوعاً ، ما كان في الأرض أزهى ولا أعبد مني ، فإذا

هو بالحاجب قد دخل عليه برقة من أبي العتاهية فيها مكتوب :

أراك امرءاً ترجو من الله عفوهُ وأنت على مالا يحب مقيم

نذل على التقوى وأنت مقصر أيا من يداوى الناس وهو سقيم

وإن امرءاً لم يله اليوم عن غد تخوف ما يأتي به الحكيم

وإن امرءاً لم يحمل البر كنزه وإن كانت الدنيا له لمديم

فغضب خزيمة وقال : والله ما للمروء عند هذا الممتوه

الملحف من كنوز البر فيرغب فيه حر . فقيل له وكيف ذاك ؟

فقال لأنه من الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في

سبيل الله

وقد كان أبو العتاهية يجمع إلى أخذه بهذا التكسب القهاب

في البخل إلى حد ممكن منه خصومه فشوهوا به زهدك أيضاً ،

وله في بخله نوادر كثيرة ، وأخبار مأثورة ، قال ثعلبة بن أشرس

أنشدني أبو العتاهية :

إذا المرء لم يمتق من المال نفسه تملكه المال القى هو مالكة

ألا إنما مالى الذى أنا متفق وليس لى المال القى أنا تاركة

إذا كنت ذامال فبادر به الذى يحق وإلا استهلكته سبالكة

فقلت من أين قضيت بهذا ؟ فقال من قول رسول الله صلى

الله عليه وسلم : إنما لك من مالك ما أكلت فأفريت ، أو لبست

فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت . فقلت له أتؤمن بأن هذا قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق ؟ قال نعم ، قلت فلم

تجس عندك سبماً وعشرين بكرة في دارك ولا تأكل منها ولا

تشرب ولا تركى ، ولا تقدسها ذخراً اليوم قفرك وقافتك ؟ فقال

يا أبا منى والله إن ما قلت لهو الحق ، ولكنى أخاف الفقر والحاجة

إلى الناس . فقلت وبم تزيد حال من افتقر على حاله وأنت دائم

الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك ، لا تشتري اللحم إلا

من عيد إلى عيد . فترك جواب كلامي كله ، ثم قال لي والله لقد

اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ،

فلما قال لي هذا القول أنحكني حتى أذهلني من جوابه ومعاتبته ،

فأمسكت منه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام

وحدث محمد بن عيسى الخزيمى وكان جارا أبي العتاهية قال :

كان لأبي العتاهية جار يلتقط النوى ، ضعيف سيء الحال ، متجمل

عليه ثياب ، فكان يمر بأبي العتاهية طرفى النهار ، فيقول أبو

العتاهية اللهم أغنه عما هو بسبيله ، شيخ ضعيف سيء الحال عليه

قال : مر القاسم بن الرشيد في موكب عظيم ، وكان من أتبيه الناس ، وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق ، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له ، فلم يزل قائماً حتى جاز فأجلزه ولم يلتفت إليه ، فقال أبو العتاهية :

يقيه ابن آدم من جملة كان رحا الموت لا تطحنه
فسمع بعض من كان في موكبه ذلك فأخبر به القاسم ، فمضت إلى أبي العتاهية وضربه مائة مفرقة ، وقال له : يا ابن الفاعلة أتعرض بي في مثل ذلك الموضع ؟ وحجسه في داره ، فدرس أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر وكانت توجه له هذه الآيات :

حتى متى ذوالتيه في تيهه أصلحه الله وعاقبه
يقيه أهل التيه من جهلمهم وهم يموتون وإن تاهوا
من طلب الميز ليقى به فان عز المرء تقواه
لم يمتنع بالله من خلقه من ليس يرجوه ويخشاه
وكتب إليها بحاله وضييق حبسه ، وكانت ماثلة إليه فرقت له ، وأخبرت الرشيد بأمره وكنيته فيه ، فأحضره وكساه ووصله ، ولم يرض الرشيد عن القاسم حتى برأ أبو العتاهية وأدناه واعتذر إليه وحدث محمد بن عيسى قال : كنت جالسا مع أبي العتاهية إذ مر بنا حميد الطوسي في موكبه ، وبين يديه الفرسان والرجالة ، وكان يقرب أبي العتاهية سوادى على أتان ، فاضربوا وجه الأتان ونحوه عن الطريق ، وحميد واضح طرفه على معرفة فرسه ، والناس ينظرون إليه يسحبون منه وهو لا يلتفت تها ، فقال أبو العتاهية :

لموت أبناء بهم ما شئت من صلف وتيه
وكانني بالموت قد دارت رحاه على بنيته

فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال :

ما أذل المقل في أعين النبا من لاقلاه وما أقام
إعما تنظر الميون من النبا من إلى من ترجوه أو تخشاه
وقد كان أبو العتاهية في آخر أمره يحاول جهده أن يجعل جوائز الملوك وغيرهم إليه في نظير هدايا يتقدم بها إليهم ، كما كان يفعل ذلك مع الأمين والمأمون فيما ذكرنا في ترجمته ، وهو في ذلك يشمر بسمو منزلته إلى منزلهم ، وترفع من ذلك التكسب الذي كان يأخذه به في أول أمره ، وإن كان على تلك الطريقة التي لم يكن لها أثر مريب في نفسه

وأما بخلافه فنعتقد أنه لم يصل فيه إلى ذلك الحد الذي يؤثر فيه ما أثر عنه من تلك النوادر وغيرها ، وإنما ذلك من اختلاق

نياب متجمل ، اللهم أعنه ، اصنع له ، بارك فيه ، فبقى على هذا إلى أن مات الشيخ نحواً من عشرين سنة ، فقلت له يوماً يا أبا إسحاق إنى أدركت تكسر العطاء لهذا الشيخ ، وترغم أنه فقير مقل ، فلم لا تصدق عليه بشيء ؟ فقال أخشى أن يعتاد الصدقة ، والصدقة آخر كسب العبد ، وإن في العطاء خيراً كثيراً

وقال علي بن مهدي حدثني الحسين بن أبي السرى قال : قيل لأبي العتاهية مالك تبخل بما رزقك الله ؟ قال والله ما تبخل بما رزقني الله قط ، قيل له وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يحصى ؟ قال ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي لأنفقته

وقال محمد بن عيسى قلت لأبي العتاهية أنزكى مالك ؟ فقال والله ما أنفق على عيالي إلا من زكاة مالي ، فقلت سبحان الله ، إنما ينبغي أن يخرج زكاة مالك إلى الفقراء والمساكين ، فقال لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم

فأما تكسب أبي العتاهية بالشعر فلا شيء فيه عندي مع أخذه بذلك الزهد ، لأن الزهد في الإسلام لا يمنع صاحبه من الأخذ بالأسباب والسعى في الحصول على الرزق ، والتكسب بالشعر سبب من تلك الأسباب ، والشعر فن من الفنون التي لا غنى للدولة عنها ، فيجب أن يأخذ حظه من الأموال التي تجب فيها ، ويجب على أرباب الدولة أن يمسطوا أيديهم بالمطاء لرجاله ، ليتوفروا على إجادته ، ويتضافروا في النهوض به ، وليس على الشعراء من حرج إذا لم يصل نصيبهم من ذلك إليهم أن يتلطفوا في الوصول إليه بمدح الملوك والوزراء ، وكذا غيرهم ممن في أيديهم تلك الأموال ، وإنما يذم التكسب بالشعر إذا بالغ صاحبه في الإلحاح به ، وجعله كل غايته من الشعر ، فعمله ذلك على الالتواء في سبيله ، واتخاذ الشعر أداة شريفة للناس ، يقلب الحقائق بينهم ، ويجعل في سبيل المال الباطل حقاً والحق باطلاً ، والظلم عدلاً والعدل ظلاماً ؛ وقد تكسب الشعراء بشعرهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له شعراء يمدحونه وينصرون دعوته ، ويدافعون عنه أعداءه ، ويردون عنه هجاءهم بالحق إذا هجوه بالباطل

ولم يكن شاعراً أبو العتاهية بحيث يصل به التكسب بالشعر إلى هذا الحد ، وقد مضى لنا في ترجمته ما يؤيد ذلك له ، وكما له من مواقف مشهودة مع ملوك عصره وأمرائه ، لم تنسه فيها جوائزهم أن يشكر عليهم ما يستحق الانكار منهم ، أو يفضب نفسه إذا رأى منهم أقل تهاون به . حدث الحسين بن أبي السرى

في اللغة والأدب

٢ - المثنيات

في التاريخ والجغرافية والفلك

للأستاذ محمد شفيق

- (الأخشبان) هما جبلا مكة اللصقان بها : أبو قبيس والأحمر ، وهو الجبل الشريف وجهه على قميقمان ، والأخشب في اللغة هو الجبل الخشن العظيم ، ويقال هو الذي لا يرتقى علوه . وهما جبلا منى . وقيل هما الأخشب الشرق والأخشب الغربى ، قال الشرق أبو قبيس والغربى جبل الخط من وادى إبراهيم . قال أبو عبيد : وأخشب المدينة حرثاها
- (البونان) بفتح الموحدة وسكون الواو : موضعان باليمن البون الأعلى والبون الأسفل ، وهما متصلان من أعمال صنعاء ، ويقال إن فيهما البئر المعطلة والقصر الشديد المذكوران في القرآن الكريم (الخمراتان) نهران من كواكب الأسد ، وقيل كوكبان بينهما قدر سوط وهما كتفا الأسد ، وقيل سميا بذلك لتفوذهما إلى جوف الأسد
- (الزبانيان) هما كوكبان نيران ، وهما قرنا المقرب ينزلها القمر ، وهما مفترقان بينهما أكثر من قامة الرجل في رأى العين ، ويسميهما أهل الشام يدي المقرب ، ويقال لهما زباني الصيف ، لأن سقوطهما في زمن تحرك الحر
- (الشرطان) نهران من الحبل وهما قرناه
- (الشرقان) بالواوى الأخضر من دمشق وهما الجانيان المتقابلان شرف أعلى وهو الشمال وأدنى وهو القبلى ، وبينهما الوادى والنهران بردى وبانياس . ويقال : فلان حاز الشرفين أى شرف الأب والأم
- (النوطتان) بدمشق معروفتان قبلية وشالية
- (الصفصاقتان) معروفتان عند دمشقيين ، وهما : شجرتا صفصاف بالوادى التحتاى ممدتان للتزه ذكرهما الشعراء المتأخرون في أشعارهم فنههم الأمير المنجى حيث قال :

خصومه ومنافسيه عليه ، ليشوهوا منه تلك الصيحة البمدوية في الزهد ، ويظهروه في مظهر من يقول بما لا يفعل ، فلا يتأثر الناس بدعوته ، ولا ينظرون إلى أقواله ، ولا شك أنه يشفع لأبي الساهية في ضنه بماله أنه كان رجلاً شاعراً يجمع ماله من أيدى الملوك والمطاء ، وينذل في ذلك ماء وجهه على ما كانت عليه نفسه من عزة ورفعة ، قافاً ضن به بعد هذا قائماً يحمله على ذلك أن يكون دائماً في غير حاجة ملحة إلى من يحاول أن يشتري شعره بها ، فيسير فيه كما يشتهي هو لا كما يشتهي غيره ، وقد كان أبو الساهية دائماً مهتماً من أجل هذا بالحرمان ، وعرضة للتضييق والسجن واستباحة المال ، فهو يجمع من ذلك ما يجمع ليجده في وقت حرمانه ، ويضن به على من لا يجده في ذلك الوقت إلا عدوا له أو شامتا فيه ، وقد كان يجدد من الناس ماساء به ظنه فيهم ، وآثر به العزلة عنهم ، وكان له فيهم مذهب غريب يقضى بتبخیلهم كلهم ، فهو يقارضهم بخلاً يخل ، ويضن عليهم ضناً بضن ، قال مخارق : لقيت أبا الساهية على الجسر ، فقلت له : يا أبا اسحاق أنت تدنى قولك في تبخیل الناس كلهم ؟ فضحك وقال لى : ها هنا ؟ قلت : نعم ، فأنشدنى :

إن كنت متخذاً خليلاً فتمنق وانقذ الخليل
من لم يكن لك منصفاً فى الود قابغ به بدىلا
ولربما سئل البخيل لى الشىء لا يسوى فتىلا
فيقول لا أجد السيد لى اليه بكره أن ينىلا
فلذلك لا جعل الآل له إلى خير سىلا
فاضرب بطرفك حيث شئت فلن ترى إلا بخىلا

فقلت له : أفرطت يا أبا اسحاق ، فقال : فديتك فأكذبى بجواد واحد ؟ فأجبت موافقته ، فالتفت عينا وشمالاً ، ثم قلت : ما أجد ؟ فقبل بين عيني وقال : فديتك يا بنى ، لقد رفقت حتى كدت تسرف

وهكذا مضى أبو الساهية عظيماً لم يزر به بخله ولا نكسبه بشعره ، كما أزدى ذلك بغيره ، ولو أن ذلك أزدى به كما زعمه خصومه لما كان لمنصور بن المهدي أن يعد إليه يده لزوجته إحدى ابنتيه ، وقد كان لأبي الساهية بنتان : أحدهما « لله » والأخرى « بالله » ، فخطب منصور منه « لله » فلم يزوجها ، وقال : إنما طلبها لأنها بنت أبي الساهية ، وكأني به قد ملها فلم يكن لى إلى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت لأزوجها إلا باتع خرف وجرار ، ولكنى أختاره لها موسراً

عبد المتعال الصميدى

واحد أو كثيرين متفقين في الحقائق في جواب ماهو ، والاضافي
ماهية يقال عليها وعلى غيرها الجنس قولاً أولياً أى بلا واسطة
كالإنسان بالقياس إلى الحيوان

المنيات المتعلقة بالتفسير والقرارات

(النجدان) هما الضلالة والهدى ، في قوله تعالى (وهديناه
النجدين)

(مدهامتان) هما في القرآن بمعنى سوداوين من شدة الخضرة
من الرى لأن العرب تسمى كل أخضر أسود
(الصدقان) هما في الآية الكريمة جيلان متلاصقان ، من
المصادفة أى القابلة ، وقيل من الصدق وهو الميل لأن كل واحد
منهما منزول عن الآخر

(السدان) هما في قوله جل وعز (حتى إذا بلغ السدين)
الجيلان البني بينهما السدان وهما جيلا أرمينيا وأذربيجان ،
وقيل هما جيلان متيعان في آخر بلاد الترك

(الابنان) هما في مصطلح أهل القراءات ابن كثير وابن عامر
(الأبوان) هما أبو عمرو وأبو بكر بن عاصم القارئان
الشهوران

(الاخوان) هما حمزة والكسائي . (الحرميان) هما ابن
كثير وناقع من القراء السبعة

المنيات المتعلقة بالحديث الشريف

(التدليسان) أحدهما تدليس الاسناد وهو أن يروى عن
أبيه ولم يسمع منه موهماً أنه لقىه أو سمع منه ، والآخر تدليس
الشيوخ وهو أن يروى حديثاً عن شيخ سمعه منه فيسميه أو
بكنية ويصفه بما لم يعرف به كيلاً يعرف

(الشيخان) هما عند الاطلاق أبو بكر وعمر ، وعند المحدثين
براديهما البخارى ومسلم

(الديبعان) في حديث (أنا ابن الديبعين) اسميل أو
إسحق وعبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم . والرجح أن
الديبع هو اسميل ، وأما القول بأنه إسحق فمردود بأكثر من
عشرين وجهاً (١)

(١) بسط المصنف في (جنى الجنتين) مفصل القول في ذلك بتحرير دقيق
عن ابن تيمية وغيره من الأئمة

وبالصفصافتين مقام أنس عليل نسيمه يرى السقاما
إذا فنت حاميته سكرنا بما على ولم نشرب مدا
(المزيتان) قربتان بمصر في ناحية الشرقية مندوبتان
إلى العزيز بن للمز

(المسكران) محمد بن علي والحسين بن رشيق ، منسوبان
إلى عسكر : محلة بمصر ، وأبو الحسن علي بن محمد . . . بن جعفر
وولده الحسن منسوبان إلى عسكر المتصم وهي مدينة سر من
رأى (سامرا) ، والمسكران الأديان أبو أحمد الحسن بن عبد الله
المسكرى وتلقبه أبو هلال الحسن بن عبد الله منسوبان إلى
عسكر مكرم

(الفرقدان) نجران منيران في بنات نعلش يضرب الثل بهما
في طول الصحبة في التساوى والتشاكل . قال البحترى :
كالفرقدين إذا تامل فاطر لم يعد موضع فرقده عن فرقده
(القرافتان) القرافة الصغرى والقرافة الكبرى ، فهما
مقبرتا مصر ، وكاتتا من قبل خطتين لقبيلة من اليمن ثم من المافر
ابن يعفر يقل لهم بنو قرافة

(الحلفان) نجران يطلان قبل سهيل فيظن الناظر لكل منهما
أنه سهيل ، ويحلف أنه سهيل ويحلف آخر أنه ليس به

ما يتعلق بالمنظرة من المنيات

(الجنسان) الجنس القريب والجنس البعيد

(الحدان) الحد التام والحد الناقص

(الضدان) صفتان وجوديتان يتماقيان في موضع واحد
يستحيل اجتماعهما كالسواد والبياض

(التقابلان) بالدم والملكة أمران أحدهما وجودى والآخر
عدم ذلك الوجودى لا مطلقاً بل من موضع مقابل له كالبصر
والعمى ، والعلم والجهل ، فإن العمى عدم البصر عما من شأنه
البصر ، والجهل عدم العلم عما من شأنه العلم

(التقابلان) بالايجاب والسلب هما أمران أحدهما عدم الآخر
مطلقاً كالفرسية واللافروسية

(المضائقان) هما التقابلان الوجوديان اللذان يميل كل منهما
بالقياس إلى الآخر كالأبوة والبنوة

(التوكان) الحقيق والاضافي : فالحقيق الكلى المقول على

المتشمة وكلما انتقص تتبعها الحرارة الفريزية في ذلك . . . الخ
ما ذكره المحي في « جني الجنتين »

(الأديان) أدب الفريزة ، وهو الأصل ، وأدب الرواية وهو
الفرع ، ولا يتفرع شيء إلا بنمو أصله ، ولا ينمو الأصل إلا
بإتصال المادة ، وقيل الأديان أدب النفس وأدب العرش

(الامامان) هما في اصطلاح أهل التصوف : الشخصان
الذين أحدهما عين العرش أي القطب ونظيره في الملكوت وهو
مرآة ما يتوجه في المركز القطبي إلى العالم الروحاني من الامدادات
التي هي مادة الوجود والبقاء ، وهذا الامام مرآة ، والآخر عن
يساره ونظيره في الملك وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات
من المادة الحيوانية وهذا مرآة وعمله أعلى من صاحبه وهو يخلف
القطب إماماً إذا مات

(الفناءان) أحدهما سقوط الأوصاف المضمومة ، كما أن البقاء
وجود الأوصاف المحمودة وهو بكثرة الرياضة ، والثاني علم
الاحساس بعالم الملك والملكوت ، وهو بالاستغراق في مظنة
الباري ومشاهدة الحق

(الصورتان) النوعية والجسمية ، وهما مجلهما الحيولى ، وهي
جوهر في الجسم قابل لما يمرض له من الاتصال والانفصال
ما يتصل بالثقة بالوصول من المثنيات

(البيضان) هما البائع والمشتري ، وفي الحديث : « البيضان
بالخير مالم يتفرقا »^(١)

(الفهومان) مفهوم الواقعة ومفهوم المخالفة : فالأول ما يفهم
من الكلام بطريق الطائفة ، والثاني ما يفهم من الكلام بطريق
الالتزام ، وقيل هو أن يثبت في السكوت على خلاف ما يثبت
في المنطوق

(الخليطان) هما الشريكان يخلط أحدهما ماله بحال الآخر ،
وفي الحديث : « وما كان من خليطين كأنهما يتراجمان بينهما
بالسوة »^(٢)

(البيهقان) حنفى وشافى : فالحنفى إسماعيل بن الحسن ،
والشافى أحمد بن الحسين

(يتبع) محمد شفيق

(١) في « جني الجنتين » وكتب الثقة تفصيل آراء الفقهاء في معنى الحديث

(٢) شرح هذا الحديث في « جني الجنتين » في صفحة كبيرة

(المودان) منبر النبي صلى الله عليه وسلم وعصاه ، وقد ورد
ذكر المودين في الحديث وفسرا بذلك ، وقال ثمر في قول
الفردق :

ومن ورث المودين والخاتم أقى

له الملك والأرض القضاء رحيها
وكنى بالمودين عن الشاهدين ، قال شرح : القضاء حجرة
فادفع الجمر عنك بمودين

(الأسودان) الحية والمقرب ، وفي الحديث (افتلوا الأسودين)
(الثقلان) الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الأرض
ولرزانة رأيهم وقدرهم ، أو لأنهم مثقلون بالتكليف ، وفي الحديث
(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) سميا ثقلين لأن
الأخذ بهما والعمل بهما ثقل إعظاماً لقدرهما وتوضيحاً لشأنهما
(الأسواريان) عيسى ومحمد بن أحمد نسبة إلى أسوار
— بالفتح — قرية بأسيهان ، محدثان

(الأماميان) محمد بن عبد الجبار ومحمد بن اسمعيل البسطامي
محدثان

المثنيات في الطب والكيمياء والنباتات

(البهقان) أبيض يياضه دقيق ظاهر البشرة لسوء مزاج
المضبو إلى البرودة وغلبة البلم على الدم ، وأسود يمتري الجلد إلى
السواد لمخالطة المرة السوداء الدم

(الحلولان) حلول سرياني وهو عبارة عن اتحاد الجنتين
بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء
الورد في الورد فسمى الساري حالاً والسرى محلاً ، وحلول
جوارى وهو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول
للماء في الكوز

(الزرنينخان) أراد به الأطباء الزرنينخ الأحمر ، والزرنينخ
الأسفر

(البهمنتان) نباتان أحمر ظاهره السواد وأبيض كذلك ،
وهما فارسيان معريان وكلاهما يضران السفلى ويصلحهما الأنيسون
والكثيرا أو العناب

المثنيات المنصرفة بالفلسفة والافهمورة والتصريف

(الأجلان) هما على رأى الفلاسفة طبيى واختراى قنهم
قالوا : الرطوبة الفريزية من الحرارة الفريزية بمنزلة الدهن للفتيلة

القصص

صور من هوميروس

٢ - حروب طروادة

پاريس يعود

للاستاذ دريني خشبة

« ألت تحن إلى وطنك ، وتتمنى لو ترى والدك

پاريس ؟ ... »

« وطني ووالدي ؟ »

« ... ؟ ... »

« وهل لي وطن غير هذه المروج الخضراء ، والنان غير

أبي الراعي وأمي اللطيفة الفانية ؟ »

« محكين ! ! »

« بل أسمع الناس بأن أكون ابنهما ! وله ؟ أليس أبي

سيد هذه القلوات ، وأمي أعز الأمهات ؟ »

« ذلك حق لو أن أباك هذا الراعي يا پاريس ! »

« ماذا تمنين ؟ »

« أفى أنك لست ابنه ؟ ... »

« وى ! لو لم تكوني فينوس لقتلتك ! »

« الحق أقول أيها العزيز ! »

« أنت تعذبتني ! ابن من إذن ؟ ... »

« أرى إلى جمالك البارح ، وجسمك المشوق السمهي ؟

أيمكن هذا الخلق من نسل الرعاة الأجلاف ؟ »

« ؟ »

« أتدور بك الأرض إذا علمت أنك ابن ملك ؟ ... »

« سخرية وهزء ... إلام تقدمين فؤادي يارب الحسن

والحب ؟ ألا تفي أعطيتك التفاحة الخالدة ؟ ... »

« الآلهة لا تكذب يا پاريس ! »

« أنا ؟ ... أبي ... ملك ؟ ... هذا الراعي ! ؟ ملك ماذا ؟ »

« ليس هذا الراعي قلت لك ! ! أنت لست ابنه ! أنت

سليل الملوك ، الصيد ! ! ... »

« إذن من عسى أن يكون أبي ؟ ... »

« ملك طروادة ! ! ... »

« ملك طروادة أبي ؟ ... پرغام ! ؟ ... »

« هو ... هو ... هو ... »

« هاهاها ... ومن جاء بي هنا ؟ سرقوني ؟ ... »

أليس كذلك ؟ ... »

« لانتس يا پاريس أنك في حضرة فينوس ... وأقولها

لك كرة أخرى : إن الآلهة لا تكذب ... أجل أنت ابن پرغام

ملك طروادة ... قيل لك أنك تاجر عليه ألوانا من المناديب فسديق ،

وأرسل بك من تركك فوق جبل صيد ، لنا كلك الدناب ...

كل هذا إذ أنت طفل صغير ... ولبد ... ولقد عثر بك ذلك

الراعي الذي تحببه أباك ففرح بك وقال لامرأته : عسى أن يكون

لنا منه ولد ... والآن ... لقد وعدتكم زوجة جميلة ... أجل

امرأة في العالم ... فاذهب أولاً إلى طروادة ، والتقى أباك فانه

سيعرفك ... سيعرفك لأن له أبناء تخلقهم تخلقك ... وسيعده

قلبه ... وتكلمه روحه أنك ابنه ... سيفرح بك پرغام يا پاريس !

وسيفتح قلب هكيويا ... أمك التي نبكى من أجلك ، وتتمنالك

ينصف ملكهما !

فاذا اطمانوا بك ، ولبثت فيهم أياماً ، فأبد لهم رغبتك في

الابحار إلى بلاد الأغريق في أسطول كبير ... إن ثمة للمرأة

التي وعدتكم ... أجل نساء العالم ... »

وغابت فينوس !

وجلس فوق مضبة مرتفعة قليلاً فنظر إلى المدينة الخالدة !
 واجتمع حوله أصدقاؤه الأوفياء يسألونه فم جاء إلى هنا
 البلد ، ولم هجر قطمانه وأوطانه ، وهل في أمره ... حب ... ؟
 وطمانهم باريس ، وزوق لهم الأحلام والأمان ، ووعدهم
 خيراً « لا ترى مثله عين ، ولا يخطر على قلب بشر »
 ودخلوا المدينة ...

وعموا ميدانها الرحب الفسيح ، حيث اجتمع خلق كثير
 يشهدون المهرجان الرياضي ، وعثمون أنظارهم بشتى الألعاب التي
 يمارسها أبطال طروادة وما جاورها من القرى . ولبت باريس
 وأصحابه ينظرون إلى المتبارين ساعة ، ثم زهاهم الروح الرياضي
 فقدموا أنفسهم إلى الرئيس المشرف على الألعاب ، فاشركهم في
 كثير من المباريات ...

ولقد برز باريس على أقرانه ، وبذ كل من تبارى معهم في
 مضمار ، حتى لفت إليه أعين النظارة وأصبح موضع إعجاب
 الحاضرين ...

وكانت الأسرة الملكية ، الملك وزوجه وأبنائه وحاشيته ،
 يحدقون في الفتى مشدوهين مأخوذون ، وكانت الملكة خاصة
 تحس كأن رباطاً روحانياً يجذبها إلى الناحية التي يجول باريس
 فيها ويصول ؛ بل كانت تشعر كأن الحديد القائب في عضلات
 البطل ، إنما يتدفق من عضلاتها هي ! وأعجب من ذلك جميعاً ،
 ذلك الحنان التفجر في قلبها ، وذلك الحب الحزين السادر الذي
 ينفرها كلها من أجل هذا الغريب القاهي المجهول !

ولحت كاستندرا ، ابنة الملك ، ما كانت يتتاب أمها من
 عواطف ، وكانت فتاة بارعة الحسن ، مليحة القل ، فينانه
 ريانة ؛ أعجب بها أبوللو ففتحها حبه ، وهام بها حتى لكان يبيدها
 عبادة ، وهو الآله المبود !

وكان ما يقتا يباركها ويخلع عليها من نعمه ؛ فمن ذلك أنه
 وهبها القدرة على كشف النيب ، والتنبؤ بما كان وما يكون ؛
 فكانت تخبر الناس بماضيهم وحاضرهم وما يكون من مستقبلهم
 وهم يسمون ويمجبون ...

ولكنها ناهت على أبوللو ودلت ، وكانت أبداً تمنحه الجفاء
 والصدد ، وتعرض عنه وهو المقبل عليها بروحه وقلبه وشعره
 وموسيقاه !

جلس باريس على صخرة تشرف على البحر المضطرب من
 جهة ، وعلى السفح العشوب المصطخب بالحياة من جهة
 أخرى ، ثم أخذ يفكر في كل كلمة انفرجت عنها شفتا فينوس ...
 « ترى ؟ ! أصبح ما قلته فينوس ؟ أصبح أن يرأى أبي ؟
 ألا أنادي أبي الراعي بعد اليوم ؟ وأنت أيتها الشاء والتسم :
 أفرأق لاقاء بعمه ؟ وأسفاه ! لم لقيت فينوس ؟ عزيز على أن
 أهجرك إلى الأبد أيتها البطاح ؛ وأنت أيتها السماء الحبيبة ؟ بم
 أستبدل قلأئك الدرية في الليل ، وشمسك اللافقة ، وسحبك
 الموشاة بالذهب في النهار ؟ ! »

الآلهة لا تكذب ! ! هكنا كانت تقول فينوس ! أنا إذن
 ابن ملك ! وأبي لابد أن يكون غراً ضيق البطن ، وإلا فلم صدق
 ما ذكرته له الكهنة عني ؟ طفل صغير يُبند بالمراء لتأكله
 السباع ! بالقساوة القلوب ، وبحجر الأكباد ؟ ! وأبي ؟ أين
 كانت أمي ؟ وأين كان قلب الأم في هذه المرأة ؟ كيف سهل عليها
 أن تدعى يُنطلق بي لأبند بالمراء ، فريسة لاحول لها لكلا ب
 الجليل ، وطعمة شقية لسباع البرية ؟ ! »
 لابد أن أذهب ! لابد أن أعلم حقيقة أمرى ! وداعاً أيتها
 البحر ! وداعاً أيتها الروح ! يا كل شيء هنا ... وداعاً !
 وانطلق لا يلوى على شيء ...

وكان أصدقاؤه الرعاة يلقونه في الطريق فينكرون منه كل
 شيء ! ينكرون منه انقباضه وعهدهم به طلق المصحياً لا يفارق
 المرح ثمره البسام ، وينكرون منه سمته الطويل وهو الثرقار
 الذي لا يقف لسانه ولا تسكن شفتاه ! وينكرون منه هذه
 النظرات المميقة الحزينة ، وهو ذو المينين الضاحكتين والجبين
 المشرق الطروب ...

وكان هو ينكرهم جميعاً كذلك ! أليس قد عرف أنه ابن
 ملك ؟ وابن أي ملوك العالم ؟ ابن ملك طروادة ! وهل أقوى
 وأعظم في ملوك العالم من ملك طروادة ؟

وبرغم هذا الانكار كان الرعاة ما يرحون يحبون باريس
 ويمجبون به ، وقد أحزنهم أن ينطلق فريداً وحيداً في فلات
 تدمم فيها السباع وتهمهم الوحوش ، فذهبوا يقتصون أثره ،
 وكانوا له حرساً شديداً في وحشة هذه البرية المخوفة ...
 ووصل إلى طروادة ...

مكينة كاسندرا !
حتى الحاشية استهزأت بها وأشمرت بها المذلة والهوان ... !
كل ذلك والرعاة ... أسدقاء باريس ... ينظرون ويمجبون ...
ولا يفهمون !!

الآلهة لا تكذب !!
أفرخ روع باريس إذن ! وسدق كل ماذكرته فينوس !
ها هو ذا يعيش في قصر منيف باذخ ؛ وها هو ذا ، لأول مرة
في حياته يخلع هذا الصوف الخشن الغليظ ، ليلبس من سندس
أبيض واستبرق ! والولدان البيض كالتماثيل يطوفون عليه بأكواب
الخمر من فضة ، ورحائف الآ كال من ذهب ! وشعب بأسره
يطيع أباه ويطيعه ، وجيوش تصدع بأسره ، وأساطيل لجاب
تملأ البحر ، إذا شاء أقامت وإذا شاء أurst ؟ ؟ ؟ وملك
وسلطان ، وتاج وصولجان ... !!

لا تنقصه الآن إلا أجل فتاة في العالم ...
تلك الفتاة التي وعده فينوس ! وما دامت الآلهة لا تكذب
فأجل فتاة في العالم هي من غير ريب في بلاد الأغريق ... لأن
فينوس أوصته بوجود الابحار إليها ... وهل أجل من حسان
اسبرطة في بلاد الأغريق ؟ ! لهم قوم يبدون الجمال واعتدال القوام
إذن ، فليبحر باريس إلى اسبرطة !!

درين منبه

(لها بجة)

في حفلة استقبال سمو الأمير سمود

يقال إنه كان لاهدية القيمة التي انقرد بتقديمها أحد كبار
الهنود بمصر . حضرة السيد بير شريف على المدني صاحب
قاريفة سجائر ملوك الهند ونفر العرب ، من بين المحتفلين
بقدوم سمو الأمير سمود بالوكالة العربية بالقاهرة وقد نالت عند
سمو الأمير حسن القبول والاعجاب فتناولها شاكرًا وأثنى على
صاحبها مما لفت نظر جميع المحتفلين بسموه وجملم يتحدثون
بشأنها ، وفرة هذا النوع من الهدايا إذ لا وجود له إلا
بين قصور اللوك والأبراء وخاصة في الهند مما روت الصحف
في حينه يوم الحفل من الأسبوع الماضي

رجاها أبولو أن تكون له ، وأن ترتضيه لها بملأ ، ووعدوا
لقاء ذلك أن يبنى لها القصور الشام في قبة السماء ، وأن يحملها
معه أبدًا في رحلته العلوية فتري كل ما يدب على الأرض ،
وأغراها بالتوسط لدى كبير الآلهة زيوس الأعظم فيمنحها الخلود
وربما رفضها إلى صفوف الآلهة أنفسهم ... يبد أنها ما كانت
لترداد إلا شمسًا وعنادا

ولما ضاق أبولو بها ذرعًا ، صب جام غضبه عليها ، وسلط
عليها سخرية سامعها ، فما تقول شيئًا ، ولا تتشأ بشيء ،
ولا تكشف غيبًا ، إلا استهزأ بها الناس ، وعيروها بأنها
تكذب وتهرف وتدعى ...

فلما شاهدت ما كان من فورة الاحساس التي تجرف قلب
أما من أجل باريس ، ذكرت لها أن هذا الشاب إن هو إلا
أخوها الذي نبذوه بالمراء فوق الجبل لتأكله السباع ، وآبها على
ذلك هذا التشابه الشديد بينه وبين أخيها هكتور وبين
أبيها الملك . وحاجها قوما فأحضروا باريس ليطابقوا بينه وبين
هكتور ... ولكن ما كادت المطابقة تم حتى أخذته هكيوبا
في حضنها الخنون الرنجف ، سائحة مستعبرة : « ولدى باريس ...
ابني باريس ... ولدى ... إلى ... إلى يابني ... » . أما الملك
فقد بكى هو الآخر ، ونهض فماتق ابنه عناقًا طويلًا حارًا ،
غاسلاً جبينه للتلال للشرق بدموع الاعتذار عن الماضي البعيد
المحزن

ولما أخبرهم باريس أن فينوس ، ربة الحب والخصن ، هي
التي هدته إلى مولده ومنشئه وكريم أرومته ، خر الملك وأمله
لها ساجدين ... إلا كاسندرا

لقد عبست عبوسة قاتمة ، وحذبت أخاها الفريب
بنظرة كالحية !! ثم صاحت بالملك : « أبى ! لتحذر هذا
الأخ ... لتحذر باريس ... ولتذكر نبوءة الكهنة في مبد
أبولو ... ابنك يجر الخراب على مملكته ، ويعرض شعبك
للدمار ، وينشر الموت في بيوت وعيالك !! »

وهنا ينتقم أبولو ، ويسخر من حبيته الجافية !
لقد تضاحك لللك مستهزئًا ، وغمرت الملكة ابنتها ولزتها
بكلام قارص ... أما هكتور ، فقد عبث بأخته ومازحها مزاحًا
ثقيلًا ...

البريد الأدبي

كتاب جبريل عن ستالين

قرأنا في مجلة «لوروب نوڤيل» وصفاً لمؤلف جديد عن «ستالين» بقلم مسيو بيير فريديس . والظاهر أن شخصية ستالين (أو الرجل الصلي) طاغية روسيا السوفيتية ألفت مستقر الاهتمام والدرس ؛ فلأسابيح قلائل يصدر عن ستالين كتاب جديد بالفرنسية ؛ وقد سبق أن أشرنا في هذا المكان إلى صدور الكتاب الأول وهو بقلم مسيو هنري بارييس الكاتب الفرنسي الثوري ؛ وأما الكتاب الثاني فنمونه ستالين أيضاً وهو بقلم مسيو بوريس سوفارين الكاتب الشيوعي ؛ والكتاب الجديد بالفرنسية أيضاً مع أن مؤلفه مسيو سوفارين روسي الأصل نشأ في مهد الصحافة الروسية ، ولكنه نزح إلى فرنسا منذ الثورة البلشفية ، وغداً من أقطاب الشيوعيين في فرنسا ، وكتابه يقع في مجلد ضخيم يناهز المائة صفحة ، وهو كما يسميه في عنوانه «خلاصة لتاريخ البلشفية» بيد أنها خلاصة ضافية جداً . وبدأ مسيو سوفارين بالكلام عن ستالين ونشأته الأسبوية في بلاد الكرج في أسرة ريفية فقيرة ؛ ثم يتناول تاريخ الحركات الثورية في روسيا منذ أواخر القرن الماضي باقضة ، وتاريخ الأحزاب الثورية ومبادئها ، وكيف تخضعت عن قيام الحزب البلشي في أوائل هذا القرن ؛ ويتطرق من ذلك إلى الحديث عن مقدمات الثورة البلشفية التي انتهت بقيام الحكومة السوفيتية وقبض البلاشفة على اقدار روسيا إلى اليوم ، ويستعرض خلال ذلك كل ما سبته البلاشفة من القوانين أو النظم الجديدة الاقتصادية والاجتماعية ؛ وبمعنى عناية خاصة باستيعاب كل ما يتعلق بتلك الشخصية الغامضة — ستالين — وكل ما يمكن أن ياق الضياء على خواصها الثورية . ويدعو ستالين خلال هذا المرحل شخصيته مدعشة ، فيبينها براه في ثوب متواضع جداً رجلاً لا يتمتع بثقافة محترمة ، إنما به رجل ذو إرادة حديدية عجيبة ، وإذابة طاغية

خطر ، يتذرع بأقصى الوسائل لتحقيق سياسته وأهوائه ، ثم إذا به لا يزال مطبوعاً بالترعة والصفات الأسبوية القديعة في الشف بالدس والعمل من وراء ستار . ثم لا ريب مع ذلك أن ستالين من أعظم شخصيات التاريخ الحديث ، وهو بذلك جدير بأن يدرس دراسة عميقة واسعة كتلك التي يقدمها إلينا مسيو سوفارين بعد أعوام طويلة من البحث والدرس في جميع المصادر والمحفوظات الروسية والأجنبية

وفاة شاعر انكليزي كبير

توفي أخيراً الشاعر الانكليزي السير وليم وطسون في نحو السابعة والسبعين من عمره ، وكان يماي آلام المرض منذ أعوام ؛ وولد السير وطسون في سنة ١٨٥٨ في بلدة من أعمال يوركشير ، وتلقى تربيته الأولى في ليفربول حيث كان أبوه يشتغل بالتجارة ، ثم درس الحقوق في جامعة أبردين ؛ وفي سنة ١٨٨٠ نشر أولى قصائمه في كتاب سماه «أمنية الأمير» وظهر فيه تأثره بنفوذ الشاعرين كيئس وقيسون ؛ وبعد بضعة أعوام أخرج كتابه «صور من الفن والحياة والطبيعة» ، ولكنه لفت الأنظار لأول مرة حينما نشر في سنة ١٨٩٠ قصيدته الشهيرة «قبر ورد سورث» التي ألفت يومئذ إعجاب النقطة ، واعتبرت دليلاً قاطعاً على مقدرة الشمية ؛ وأعقب السير وطسون ذلك بنبذة قصائد وأنشيد شعرية ؛ وظهر من ذلك الحين عواهبه الأدبية ، واشترك في تحرير كثير من الصحف الأدبية الشهيرة . ولما توفي الشاعر تليسون رثاه بقصيدة رائمة ضم إليها قصيدة أخرى في الذكرى للثورة للشاعر شيللي (سنة ١٨٩٣) . وفي ذلك العام منحتة الحكومة «نماش الأدب» الذي كان مخصصاً لتليسون وقدره مائتا جنيه . ولما وقمت المناهج الأرمينية في تركيا في أواخر القرن الماضي ، نشر السير وطسون عدة قصائد وأنشيد عنها في جريدة «الويتمنستر جازيت» ثم جمعت بعد ذلك في

الجليل (الرحى المحمدى) وهو من غير شك معجزة نبوغه وكتاب خلوده . رحمه الله رحمة واسعة وعوض فيه الاسلام والمسلمين خيراً

ذكرى آنررسن معبود الطفولة

احتفل أخيراً في كوبنهاجن عاصمة دانمارك باحياء ذكرى الكاتب القصصى الكبير هانز كرستيان آندرسن ، وذلك لمناسبة مرور ستين عاماً على وفاته . وبحق لدانمارك أن تفتخر بما غفر بأن ينتسب إليها ذلك الذى يعتبر بحق معبود الطفولة في جميع أنحاء العالم . ذلك أن آندرسن هو أمير القصص الساذج الذى مازال سحر الطفولة المرحّة منذ ثلثي قرن . وقد ولد آندرسن سنة ١٨٠٥ في مدينة أودنسى من أعمال جزيرة فين ؛ وكان أبوه صانع أحذية شديد الفاقة فلم يتمكن من تربيته ، ولكن جماعة من أصدقائه لاحظوا مواهب الطفل الخارقة ولا سيما في الموسيقى ؛ ولما بلغ هانز أشده أبدى مقدرة في قرض الشعر ، وحاول أن ينتظم في سلك المسرح في كوبنهاجن ؛ ولكن تربيته الساذجة حالت دون هذه الأمنية ؛ وبلغ الملك خبر هذا الفتى المجهى ومواهبه الخارقة ، فأمر بأن يلقن بعض ضروب الثقافة ؛ وكان لذلك الدامل الجديد أحسن الأثر في إبراز مواهبه الشعرية والفنية . وكان بدء شهرته ومجده قصيدته الخالدة « الطفل المحضر » . ثم تلاها بقطعة أدبية ساخرة اسمها « زهرة إلى آماك » وقد صدم آندرسن في بدء حياته الأدبية بمهاجمة النقد ؛ ولكنه لم يعبأ بهم ؛ وأمر الملك بأن يسافر آندرسن في بعض الرحلات على نفقته . وكان أعظم ما أخرج آندرسن بعد رحلاته ، قصصه الخالدة التى تعرف « بقصص الجن » . ومنها « كتاب الصور الذى لا صور فيه » « سوق شاعر » « قصص من جتلند » « البجعة المتوحشة » « المذراء الثلجية » « الجنى الشجاع » وغيرها ؛ وهى جميعاً من القصص البرى الساذج الذى وضع للطفولة ، ومن أبدع ما أخرج القلم في هذا الباب من القصص ؛ ويمتاز آندرسن بخياله المبدع وأسلوبه الساحر ، وخفة روحه التى تغلب لب قرائه الأطفال في جميع أنحاء العالم ، وقد ترجمت قصصه إلى جميع اللغات الحية ، بحيث أصبح بحق كاتباً عالمياً عظيماً

قصص بيرزطية

من أبناء استانبول الأخيرة أن الباحث الأثرية التى يجربها العلامة الأثرى الايكومى الأستاذ باكتون للبحث عن مواقع بيرزطية القديمة قد أسفرت عن العثور على بعض آثار محمد موقع

ديوان سمي « عام المار » . وفي سنة ١٩٠٩ نشر ديواناً سماه « القصائد الجديدة » فلقى نجاحاً عظيماً ، ثم نشر « الشعر فى اللقى » ، وأنتم عليه بلقب « السير » سنة ١٩١٧ ؛ واستمر السير وطسوم بعد ذلك يخرج مجموعات شعرية متعاقبة ويحمل شعر السير وطسوم طابع للدرسة الروائية وميلها إلى البلاغة ، بيد أنه يمتاز بالوضوح الجم والاحتشام الرفيع ولما مرض السير وطسوم منذ أعوام ولم تف موارد مجارته للعلاج ، أبدى مواطنوه له تقديرهم وإعجابهم بفتح اعتماد مالى شعبى يمكنه من أعام علاجه وارتياح المصححات اللازمة ؛ وقد نجح الأكتاب نجاحاً عظيماً

وفاة السير محمد رشيد رضا

استأثر الله في يوم الخميس الماضى بالعالم الكاتب والفقير الحجة السيد محمد وشيد رضا صاحب (النار) ؛ أدركم موت الفجاءة وهو فى السيارة عائداً من توديع الأمير سعود فى السويس . وليس فى العالم الاسلامى مثقف يجهل تلميذ الأستاذ محمد عبده ، وحامل لواء الإصلاح الدينى من بعده ؛ فان أربعين سنة قضاهما الفقيد الكريم فى تحرير النار يفسر كتاب الله على طريقة الامام ، ويبسط أحاديث الرسول على نهج السلف ، ويحرد الفتاوى فى المسائل الدينية المختلفة ، ويقطع أسنة المبشرين والمحدثين بالأدلة النواهيض ، ويحلو عن الشريعة ظلام الشبه بالعقل النير ، ويزيد فى ثروة الأدب الاسلامى بالصفات القيمة ، حرية أن تحله من قلوب المؤمنين موضع الترجلة ، وتبوئه من صفحات التاريخ مكان الأئمة

ولد الفقيد فى قرية (القلون) إحدى قرى لبنان القريبة من طرابلس ، فلقى العلم طفلاً وإماماً فى هذه المدينة ، ثم هاجر إلى مصر ، فدخل الأزهر واتصل بالامام محمد عبده اتصالاً وثيقاً ، فأشار عليه أن يصدر (النار) فكانت سجلاً لأراء الأستاذ الاجتهادية فى حياته ، واستمراراً لدعوته الإصلاحية بعد مماته . ثم ساهم فى النهضة العربية واتصل بجميعاتها السرية فى أطوارها المختلفة من سنة ١٩٠٨ إلى قيام الحرب الكبرى . فلما أعلنت الهدنة عاد إلى سورية فانتخب رئيساً للمؤتمر السورى الذى نادى بالأمير فيصل ملكاً ؛ ثم ظل فى خدمة هذه الدولة العربية الجديدة حتى ثل عرشها الفرنسيون سنة ١٩٢٠ ، فارتد إلى القاهرة يحرر النار ويمالج التأليف ، فأصدر طائفة من الكتب القيمة أشهرها تكملة تفسير الامام على هديه ووجهه ، ثم الجزء الأول من تاريخ الامام وكان قد أصدر منه جزءه الثانى فيما قاله ، والثالث فيما قيل فيه ، ثم كتابه

الحديث لأنه يهودى المنشأ والمبغىة ؟ وقد تفنن أقطاب الأطباء والباحثين اليهود فى اختراع نظريات الميكروبيات وغيرها وأفسدوا بذلك نظام الطب الطبيعى الذى يجب أن يكون شعار الجرمانية إلى غير ذلك من الأقوال المفرقة التى تدل على غلو لا فى التعصب فقط ولكن فى تشويه العلم والحقيقة أيضاً . وثمة سيحة غريبة أخرى يلقيها غلاة المهترئين ، فهم يحذرون الألمان من أكل البقول والمنتجات الأجنبية ، لأنه لا يصح أن يتكون الدم الألمانى النقي إلا بالأغذية والبقول التى تنتجها الأرض الألمانية . وضربت جريدة « الفرائكيشه تسيتونج » مثلاً لذلك بالييمون الذى ارتفعت أسماؤه أخيراً فى ألمانيا ، فقالت يجب على الألمان أن يصرفوا النظر عن الييمون الأجنبى لأنه يفسد دماهم ، وأن يستعصوا عنه ينقل ألماني آخر يسمى « الزها بارب » وهو بقل حامض يزرع بكثرة فى ألمانيا ويمكن استخراج حامضه واستعماله مكان الييمون ؛ وهكذا يخلط القوم خلطاً غريباً فى نظريات الدم والسلالة والقومية وغيرها من حمايات التعصب العرقى التى تجرف ألمانيا الهتلرية

الرقص العارى ليس فناً

هل يعتبر الرقص العارى منافياً للحياة ؟ لقد انتشر الرقص العارى أخيراً فى فرنسا وأصبحت عدة من ملاهيها الشهيرة تخصص للرقص العارى فى برنامجها أهم مكان . والمقصود بالرقص العارى هو العراء الطلق ، ويقوم به راقصات حسان رقص أمام الجمهور عاريات تماماً ، ولم يكن البوليس يتدخل فى أمر هذا الرقص لاعتباره داخلياً فى باب الفن ، ولكن القضاء تدخل أخيراً بناء على شكوى قدمت إليه من أحد النظارة ، فقد اصطحب رجل زوجته وابنته إلى أحد الملاهي الشهيرة ، وبعد حين غلذت ابنته المكان اسبب ما ، ولم يمس على خروجها برهة حتى ظهرت الراقصة الشهيرة جوان وارنغارية تماماً وأدت رقصتها ، وهتف لها الجمهور طويلاً . ولكن العيد المثار إليه ذهب توجاً إلى إدارة البوليس وقدم شكواه ضد هذا المنظر المنافى للحياة والذى ينطوى على فسق بين . ورفع الأمر إلى القضاء ، فقصدت الراقصة وصاحب الملاهي متهمين بارتكاب عمل ينافى الحياة ، وأخذت المحكمة بهذا رأى ، وقضت على الراقصة برامة قدرها خمسون فرنكاً ، وعلى صاحب الملاهي بمائة فرنك ، وذلك برغم ما دفت به المثلة من أن رقصها العارى إنما هو رقص محتشم يدخل فى باب الفن ، وبرغم ما دفع به صاحب الملاهي من أن برنامج الليلة كان مذكوراً فيه هذا المنظر ، وقد كان على المشتكى أن يتمتع من الدخول

القصر الامبراطورى القديم أو قصر قياصرة الدولة الشرقية . وقد توفر على درس هذه المسألة عدد كبير من العلماء ؛ ودرسوها على ضوء الخطط القديمة لماصمة القياصرة ؛ ولكن مباحثهم كانت نظرية فى الغالب ؛ وأشهر من قام بهذه الدراسات المالمان الأتران بمبورى وفياتد فى رسالتين شهيرتين أثبتت بهما بعض الخرائط والخطط النظرية القديمة لماصمة القياصرة . وقد استعان الأستاذ باكثر بهذه الدراسات التاريخية على إجراء مباحثه ؛ وبدأ بالحفر على مقربة من جامع السلطان أحمد الذى يجتمع فيه عدة من أشهر الآثار البيزنطية مثل كنيسة أياصوفيا الشهيرة ، وهى على مقربة منه ، ومسرح الهيدروم (مسرح الخليل) ؛ وحصر الأستاذ حفرياته فى المنحدر المتجه نحو البحر ، فمتر على عمق مترين ونصف متر على ممشى من الرخام وعلى بعض الأساسات القديمة ، ووجد بينها آثار أحجار وفسيفساء تدل على أنها من صنع الترك فى القرن السادس عشر ؛ ولما نظفت هذه الأسس وحفر حول الممشى الرخامى ظهرت فسيفساء أخرى ، عرف فى الحال أنها من بقايا القصر الامبراطورى ، فتوسع الأستاذ باكثر فى الحفر فى تلك المنطقة ، فمتر على قطع أخرى من الفسيفساء البيزنطية القديمة ، ولم يعرف بعد أى جزء من القصر الامبراطورى هذا الذى اكتشف ؛ على أن هذا للمر الرخامى يمتد نحو عشرين متراً ، وعرضه نحو عشرة أمتار ، وتطلله أعمدة ترتفع نحو خمسة أمتار ونصف متر . والمظنون أن هذا المر إنما هو أحد أدوة « الهيدروم » ؛ وقد كانت هذه الأورقة فى الصور القديمة داخل القصر فى الجناح المخصص لشخص الامبراطور ؛ وربما كان هذا المر الرخامى وهذه الفسيفساء من بقايا كنيسة « نانيا » وهى الكنيسة الامبراطورية الخاصة ، وربما كان من بقايا الجناح الصينى الذى بنى الامبراطور تيوفيلوس . ومهما كانت الآراء الخاصة بهذه الآثار ، فإن رأى مجمع على أنها على أعظم جانب من الأهمية فى الكشف عن مواقع القصر الامبراطورى القديم

نظريات الجنس والدم فى ألمانيا

تتخذ نظريات الجنس والدم والسلالة فى ألمانيا كل يوم صوراً مدهشة من الغلو والأغراق ؛ وما زالت التفرقة بين الجنس الآرى والجنس السامى (وبخاصة اليهود) عماد الفكرة الجنسية ؛ ولكن تحدث أخيراً بعض غلاة الوطنيين الاشتراكيين (المهترئين) فقال إن الطب الحديث هو من عوامل فساد الدم ، ويجب أن يحفر الجنس الآرى والجنس الجرمانى بنوع خاص بمجارب الطب



كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

للمقرئ

نصرت لجنة التأليف والترجمة والنشر

للأستاذ محمد بك كرد علي

المقرئ مؤرخ القرن التاسع غير مدافع (١٨٤٥ هـ)، استفاضت شهرته بتأليفه في حياته وبعد مماته، وقد طبع له حتى الآن «كتاب التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم» و«اللام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام» و«البيان والاعراب عما في أرض مصر من الاعراب» و«الأوزان والمكايل الشرعية» و«الطرفة الغربية في أخبار حضرموت المجبية». وأتم كتيبه الذي حفظ به تاريخ عمران مصر كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» الذي يدعى تسميلاً «الخطط» طبع غير مرة وعنى به علماء الشرقيات عناية خاصة ومنهم من اقتطع منه فصولاً نقلها إلى إحدى اللغات الأفرنجية، ومنهم من درسه في الجامعات وعلق عليه

ومن كتب المقرئ التي بقيت محفوظة في بعض دور الكتب العامة، واكتفى علماء الشرقيات بنقل ما يتعلق بفرصهم منها «كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك» وقد وفق الأستاذ محمد مصطفى زبدة المدرس بقسم التاريخ في كلية الآداب بالجامعة المصرية بإخراج هذا السفر الجليل على طريقة علماء الشرقيات في إحياء تراثنا الأدبي، مراعياً له على عدة نسخ مخطوطة وأهمها نسخة بخط المؤلف. وتجد في كل صفحة أثر العناية البالغة في هذا الجزء الأول - القسم الأول ٣٦١ صفحة من القطع الأخير «كتب المقرئ» - كما جاء في تصدير الناشر - كتابه على نظام الحواريات الشائع في مؤلفات المؤرخين الشرقيين في القرون الوسطى فسرد تاريخ كل سنة على حدة، ولم يحاول أن

يصل بين سنة وأخرى أبداً، ولم يستوقف القارئ في وسط السنين إلا عند حدوث عهد جديد «وقال المقرئ إنه لما أكمل كتاب «عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة القسفاط» و«كتاب انماط الخلفاء بأخبار الخلفاء» وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء منذ فتحت وإلى أن زالت الدولة الفاطمية. أحب أن يصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبيين والسلطين المالك التركية والجركية غير معتن فيه بالتراجيح والوفيات لأنه أفرد لها تأليفاً آخر

وفي هذا الكتاب كافي أكثر ما خطته يد المقرئ يسقط الباحث على شذرات في التاريخ وآراء سديدة في نقد الحوادث ما عرف عنه مثله في سائر كتيبه المنقحة، فقد قال في دولة بني العباس وهو ما سبق له التصريح بمثله في كتابه النزاع والتخاصم: «وفيها افرقت كلمة الاسلام وسقط اسم العرب من الديوان، وأدخل الأتراك في الديوان، واستولت الديلم ثم الأتراك، وصار لهم دول عظيمة جداً، وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام، وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالمسك ويعلمهم بالقهر» وقال في المنصور إنه أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولده على بن أبي طالب وكان قبل ذلك أمرهم واحداً، وهو أول خليفة قرب النجمين وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات، وأول خليفة استعمل مواليه وقلاناه في أعماله وقسمهم على العرب، فاقتمدى به من بعده من الخلفاء، حتى سقطت قيادات العرب وزالت رياستها وذهبت مراتبها، وكان قد نظر في العلم فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت علومهم ومما دونه من حوادث سنة ٥٩٤ أن معز الدين اسماعيل ابن سيف الاسلام طمكتكين ملك اليمن ادعى الألوهية نصف نهار وكتب كتاباً وأرخه من مقر الألوهية ثم رجع عن ذلك، وادعى الخلافة، وزعم أنه من بني أمية ودعا لنفسه في سائر مملكته بالخلافة، وقطع اللثام من الخطبة لبني العباس ولبس ثياباً خضراً وعمائم خضراً مذهبة، وأكره من كان في مملكته من أهل

الذمة على الاسلام ... وفي حوادث سنة ٦٠٧ أن الملك الأوحى ابن العادل ظفر بملك الكرج فقضى هذا نفسه منه بمائة ألف دينار وخمسة آلاف أسير من المسلمين ، وأنه يلتزم الصلح ثلاثين سنة وأن يزوج ابنته بشرط ألا تغارق دينها . وفي حوادث ٦٠٩ أنه كان في جهاز ضيفة خاتون ابنة العادل مائة مغنية يلعبن بأنواع اللهى ، ومائة جارية يعملن أنواع الصنائع البديعة . وفي حوادث ٦٢٦ أنه وقت الحوطة على دار القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل ، وحملت خزائن الكتب جميعها إلى قلعة الجبل بمصر ، وجملة الكتب ثمانية وستون ألف مجلد ، وحمل من داره خشب خزائن الكتب مفصلة وحملها تسعة وأربعون جلاً ، وإن عدة الكتب ١١٨٠٨ كتب ، ومن جملة الكتب المأخوذة كتاب الأيك والنصون لأبي الغلاء المرقى في ستين مجلداً

وقال في الموفق المباسى إنه أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به . وروى قول ابن مقلة : « اننى أزلت دولة بنى العباس وأسلمتها إلى الديلم لأنى كانت الديلم وقت انقاض إلى أصبهان وأطمعهم في سرير الملك ينفذون ما اجتنبتم نعمة ذلك في حياتي وإلا ففى يمتحنى بمد موق . » وذكر أنه قتل الجبابة في عهد العزيز من الأيوبيين بمصر فاتفقوا في دار السلطان على ما يصرف إلى عياله وما يفتات به أولاده ، وأفضى الأمر إلى أن يؤخذ من الأسواق ما لا يوزن له ثمن وما ينصب من أربابه ، وأفضى هذا إلى غلاء أسعار المأكولات ، فإن الممتشين من أرباب الدكاكين يزيدون في الأسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم للسلطان ، فاقضى ذلك النظر في المكاسب الخبيثة وضمن باب الزر باثنى عشر ألف دينار ، وفسح في اظهاره ويمة في القاعات والحوانيت ، ولم يقدر أحد على انكار ذلك ، وصار ما يؤخذ من هذا السحت ينفق في طامام السلطان وما يحتاج إليه ، وصار مال الثغور والجوالى إلى من لا يبالي من أين أخذ المال . . . العزيز هو الذى منع من استخدام أهل الذمة في شىء من الخدم السلطانية ، وألزموا لبس الغيار في عهده ، وأعاد الكوس التى كان أبطلها أبوه صلاح الدين وزاد في شناقها ، وتجاهر بالمعاصى والتكرات ، وألجأ أرباب الأمر والنهى الحر والحشيش ، وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة ، واضطربت أحوال الديار المصرية من قلة العدل وكثرة المعاصى والفسوق ، وكثر اجتماع النساء والرجال على الخليج لما فتح ، وعلى ساحل مصر ، وتلوث النيل بمخاض قبيحة « وعدت

الأرزاق من جانب الديوان ، وتعدت وجوه المال حتى عم المرتقة الحرمان ، واستبيح ما كان محظوراً من فتح أبواب التأويلات ، وأخذ ما بأيدي الناس بالمصادرات « ومع هذا قال القرزى في هذا الملك لما مات : إنه كان ملكاً كريماً عادلاً رحباً ، حسن الأخلاق ، شجاعاً ، سريع الانقياد ، مفرط السخاء ، سمع الحديث من السلفى وابن عوف وابن برى ، وحدث ، وكانت الرعية تحبه محبة كثيرة ، وكانت يعطى العشرة آلاف دينار ، ويعمل سباطاً عظيماً يجمع الناس لأكله ، فإذا جلسوا للأكل كره منهم أكله ، ولا يطيب له ذلك ، وهذا من غرائب الأخلاق اه ووصف في حوادث سنة سبع وتسعين وخمسمائة الغلاء الذى حدث في مصر حتى أكل الناس الميتات وأكل بعضهم بعضاً وتبع ذلك فناء عظيم ، وتعدى الحال ثلاث سنين متوالية لا يمد النبل فيها إلا مداً يسيراً ، وشنع الموت في الأغنياء والفقراء فبلغ من كفة العادل من الأموات في مدة يسيرة نحواً من مائتى ألف إنسان وعشرين ألف إنسان ، وأكلت الكلاب بأسرها ، وأكل من الأطفال خلق كثير ، وصار الناس يحتال بعضهم على بعض ويؤخذ من قدر عليه فيؤكل ، وإذا غلب القوى ضعيفاً ذبحه وأكله ، وقد كثير من الأطباء لكثرة من كان يستدعهم إلى المرضى فإذا صار الطبيب إلى دار المريض ذبح وأكل . وهذا الوفاء والغلاء يشبهان ما وقع من مثلهما في أواخر عهد الفاطميين في مصر والشام

ويطول بنا المقال إذا أردنا الاستكنا من الاقياس من كتاب اللوك ، وقد استفدنا منه أنهم كانوا يطلقون على التيللات من ربات الحجال « الستر العالى الصاحبة قاطمة » ، « الستر العالى الصاحبة غازية خاتون » ، « الستر الرفيع فلانة » كما تقول اليوم « صاحبة المعصمة » ، وكنت قرأت على خائط فناء مدرسة الفردوس بحلب : « هنا ما أمرت بانثائه ذات الستر الرفيع

والجناب المنيع الملكة الرحيمة عصمة الدنيا والدين ، ضيفة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب ... محمد كرد على

التزيم المغنطيسى ١٠	
... صحيفة بالصرح - كتاب على عملى	
قراءة الأفكار وعلم نفسية	٥
ملكات العقل الباطن	٥
سحر التزيم بالصور	١
للأستاذ ولهم سر صيرت المحامى بمصر	
شايخ المدرسة البرلاقية رقم ١٥٦ - بابنة	